معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني " نماذج مختارة "

د/حماده ربيع عبدالحكيم عبدالرحيم

أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية - بكلية الآداب - جامعة المنيا

ملخص البحث

جاءت الرسائل السماوية محملة برسالة تهدف للبناء والتعمير، ساعية لإصلاح ما فسد، وتنمية ما يستحق التطوير. وقد تميز القرآن الكريم بما فيه من أوامر ونواهي تتضمن مجموعة من قواعد الهداية والإصلاح، التي لو اتبعها المسلمون لسادوا العالم بأسره، كما ساد أجدادنا.

ولأنّ القصص القرآني يُعدّ جزءاً جوهرياً من هذا النص العظيم، إذ إنه يحمل رسالة واضحة تدعو إلى الحق المبين. الأمر الذي جعله مادة علمية، وأداة فعالة لتعزيز الإصلاح وتقويم المفسدين. وهو بذلك يمثل تجسيداً حياً للتوجيهات الإلهية الغنية بالقيم الحضارية؛ التي تهدف إلى تحقيق النفع العام للبشرية، والوصول بها إلى أعلى درجات الرقي الحضاري. ولهذا، بات من الضروري التعمق في دراسة هذا القصص القرآني؛ بغية استنباط معالم واضحة تساند التنمية المستدامة؛ كي تعم فائدتها الأمة الإسلامية جمعاء.

الكلمات المفتاحية:

معالم، التنمية، المستدامة، القصص القرآني.

Sustainable Development in Light of Quranic Stories "Selected Models"

Hamada Rabie Abdel Hakim Abdel Rahim
Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, Minia
University, Minia, Egypt
Email: hamada12@mu.edu.eg

Abstract:

Divine messages came bearing a message of construction and development, seeking to reform what was corrupt and develop what deserved development. The Holy Quran is distinguished by its commands and prohibitions, which include a set of principles of guidance and reform. If Muslims had followed them, they would have dominated the entire world, just as our ancestors did.

Because Quranic stories are an essential part of this great text, they carry a clear message calling for the clear truth. This makes them a scholarly resource and an effective tool for promoting reform and correcting corruptors.

It thus represents a living embodiment of divine directives rich in civilizational values, aimed at achieving the common good of humanity and elevating it to the highest levels of civilizational advancement. Therefore, it has become necessary to delve deeper into the study of these Quranic stories in order to derive clear features that support sustainable development, so that their benefits can extend to the entire Islamic nation.

Keywords:

Landmarks, development, sustainable, Quranic stories.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

مقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وبعد، فإنه لما كانت التنمية المستدامة هدفاً يسعى إليه عالم اليوم؛ ليس لتحقيقه فحسب، وإنما للاستدامة عليه، وضمان استمراره بأعلى درجات التحقق والإتقان، وكان الواجب على الأمة الإسلامية أن تكون في مقدمة هذا العالم، تحقيقاً لأمر الرسول الأكرم ﷺ في الحديث: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ"^(١). "أي: أحكم عمله بأن يعمل في كل شيء، بحيث يداوم دوام أمثاله، وذلك محافظة على ما يحبه ربه ويرضاه"^(٢).

ولما كان القرآن الكريم هو كلام الله ﷻ المعجز الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلا وتحدث عنها، إن كانت خيراً أمر بها، وحث على فعلها، وإن كانت شراً نهى عنها، وزجر الناس عن الاقتراب منها، قال تعالى: {مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} ^(٣). "أي: ما تركنا وما أغفلنا {في الكتاب} في اللوح المحفوظ {من شيء} من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به"^(٤).

من هنا يمكن التأكيد على أن القرآن الكريم وقصصه المجيد قد تناول فكرة التنمية المستدامة. وذلك قبل أن يدرك العالم بأسره هذه الفكرة. ولعل الاهتمام بها

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده، مسند عائشة، برقم، ٤٣٨٦ ، ٧ / ٣٤٩ ، قال حسين سليم أسد: "إسناده لين". قال الهيثمي: " رواه أبو يعلى. وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان وضعفه جماعة". مجمع الزوائد، الهيثمي، ١٧٥ / ٤.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، ١٥٠ / ٥.

(٣) سورة الأنعام، جزء من الآية، (٣٨).

(٤) الكشف، الزمخشري، ٢ / ٢١.

كونها أساساً في تلبية احتياجات الإنسان في الحاضر، مع الحفاظ على تليبيتها في المستقبل.

ولكي يتحقق هذا الهدف العظيم لابد من العناية بالتنمية المستدامة، التي تسهل للإنسان الحصول على الخيرات، وتمكنه من المحافظة عليها. ولأجل هذه الغاية وضعت منظمة الأمم المتحدة سبعة عشر هدفاً في خطة التنمية المستدامة لعام ٢٠٣٠م، وقد ذُكرت هذه الأهداف في قرار الجمعية العامة في ٢٥ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٥م، وغطت بذلك مجموعة واسعة من قضايا التنمية المستدامة التي شملت عدة موضوعات منها: الفقر، الجوع، الصحة، التعليم، تغير المناخ، المياه، الطاقة، البيئة النظيفة، العدالة الاجتماعية، وغير ذلك.

وليس هناك من شك في أنّ هذه الأهداف وغيرها الكثير قد ورد ذكرها في آيات القصص القرآني المجيد، ويفضل عنها أنّها جاءت بتوجيهات إلهية؛ بغية التخلص من أسباب المشكلات التي تهدد مستقبل الوجود الإنساني.

وإنّ نظرة متفحصة لبنود التنمية المستدامة التي اعتمدها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة، والتي تُعرف أيضاً بالأهداف العالمية، ومقارنتها بآيات التنمية المستدامة في القصص القرآني، ستكشف لنا عن وجوه - جديدة تماماً - من عجائب هذا الكتاب العظيم الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة، إلا وأعطى لها الله ﷻ توجيهاً في آيات كتابه؛ ليتأكد لدينا أنّ السبق دائماً وأبداً يكون للقرآن العظيم في الأمر بالخير، والنهي عن الشر.

لذلك كله، جاءت هذه الدراسة في محاولة منها للكشف عن معالم هذه التنمية المستدامة في القصص القرآني المجيد، مع بيان أهدافها، ومقاصدها، وغاياتها؛ لتكون نموذجاً لدول العالم الإسلامي في الامتثال بهديها في الدعوة إلى

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

التنمية بصفة عامة، والتنمية المستدامة بصفة خاصة. وذلك تحت عنوان: معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني " نماذج مختارة " .

أولاً- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- تكمّن أهمية الموضوع وأسباب اختياره في عدة أمور، منها:
- أنه يبحث عن التنمية المستدامة في القصص القرآني المجيد، وهي التي يتوقف عليها بقاء الأمة الإسلامية قوية عافية؛ إذ إنه في حالة التخلي عن التنمية المستمرة يكون السقوط والانحدار.
 - غياب العمل بالمعالم الحقيقية للتنمية، وهو ما أدى إلى تخلف الأمة الإسلامية عن ركب الحضارة بين الأمم الأخرى، حتى غدت الثانية في مصاف الدول العظمى، وأمّتنا في مصاف الدول الدنيا.
 - التأكيد على أنّ القصص القرآني المجيد يفيضُ بمعالم التنمية المستدامة، التي تخدم المسلمين بصفة خاصة، وغير المسلمين بصفة عامة.
 - الكشف عن معالم التنمية؛ بغية العمل بها؛ ولعل ذلك ما يفرضه واقعُ عالم اليوم.

ثانياً- أهداف البحث:

- يهدف البحث إلى الآتي:
- بيان معنى التنمية المستدامة في القصص القرآني، والكشف عن أهدافها، وغاياتها.
 - استخراج معالم التنمية المستدامة في القصص القرآني.
 - عرض نماذج متنوعة من القصص القرآني؛ لبيان ما بها من معالم التنمية.

ثالثاً- أسئلة البحث:

للبحث عدة تساؤلاتٍ سوف يجيب عنها، هي:

- ما المقصودُ بالتنمية المستدامة في القصص القرآني؟
- ما أهداف وغايات التنمية المستدامة؟
- ما فوائدُ معرفة التنمية المستدامة في القصص القرآني؟
- ما وجه التشابه والاختلاف بين التنمية في القصص القرآني، والتنمية في التشريعات البشرية؟

رابعاً- الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي عن دراساتٍ سابقةٍ لموضوع التنمية المستدامة في القصص القرآني، فإنني قد وجدت عدة دراساتٍ قد تناولت التنمية في القرآن الكريم بصفة عامة، غير أنها لم تتناوله في قصصه المجيد، فَعَمَدْتُ - بعد توفيق الله تعالى وعونه - لدراسةٍ هذا الموضوع من خلال القصص القرآني المجيد. ولعل من أهم الدراسات ما يأتي:

الدراسة الأولى: حوار حول هدي الإسلام في التنمية المستدامة لرامي

لطفي كلاوي، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، ط ١، ٢٠١٢م.

الدراسة الثانية: التنمية المستدامة من منظور الاقتصاد الإسلامي. د.

السعيد دراجي، المؤتمر العلمي الدولي حول سلوك المؤسسة الاقتصادية في ظل رهانات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، ٢٠١٢م.

الدراسة الثالثة: التنمية المستدامة في القرآن الكريم، د. رحاب مصطفى

كامل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس عشر، السنة العاشرة، ٢٠١٧.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

الدراسة الرابعة: التنمية المستدامة البيئية من منظور إسلامي: المركز الجامعي، مرسلي عبد الله تيبازة، معهد العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير بالتعاون مع: مخبر الدراسات في المالية الإسلامية والتنمية المستدامة، التسويق الأخضر كآلية لتحقيق التنمية المستدامة يوم ١١ ديسمبر ٢٠١٩م.

الدراسة الخامسة: أبعاد وأهداف التنمية المستدامة من منظور الشريعة الإسلامية، د. زيزي مصطفى أحمد مصطفى، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الثاني ٢٠٢٢م. وبالنظر إلى الدراسات السابقة، وجد أنها قد تناولت الموضوع من المنظور الإسلامي العام، أو من خلال المبادئ الإسلامية العامة، هذا بالنسبة للدراسة الأولى، والثانية، والرابعة، والخامسة. إضافة إلى الدراسة الثالثة التي تناولت الموضوع في آيات القرآن الكريم بصورة مجملّة.

أما البحث الذي بين أيدينا، فإنه يتناول معالم التنمية المستدامة في القصص القرآني. وبذلك يمكن القول بأنّ دراستي تختلف في تناولها عن الدراسات السابقة.

خامساً- منهج البحث:

تقتضي سلامة الوصول إلى نتائج سليمة؛ أن أتبع في بحثي هذا: المنهج الاستقرائي التحليلي، المقترن بالمنهج الاستنباطي، الذي يعتمد على عملية القراءة المتأنية وتحليلها، ومن ثمّ استنباط الفوائد منها، بما يخدم خطة البحث، والذي تمثّل في استخلاص واستنباط بعض معالم التنمية المستدامة في القصص القرآني، مع بيان أهدافها، ومقاصدها، وغاياتها.

سادساً- خطة البحث:

تحقيقاً للأهداف والغايات المرجوة من البحث، فقد احتوى على مقدمة، تناولت فيها: الأهمية، والأسباب التي دعت إلى اختياره، والأهداف المرجوة من دراسته، والأسئلة التي تدور حوله، والدراسات السابقة عليه، والمنهج المتبع للوصول إلى نتائج صحيحة، والخطة التي سيقوم عليها، ثم جاء بعد ذلك التمهيد، تحت عنوان: التعريف بعنوان الدراسة. والذي جاء في خمس نقاط، كالآتي:

- أولاً: تعريف المعالم لغة واصطلاحاً.
 - ثانياً: تعريف التنمية المستدامة لغة واصطلاحاً.
 - ثالثاً: التعريف بالمفاهيم المتعلقة بالتنمية المستدامة.
 - رابعاً: أهداف التنمية المستدامة.
 - خامساً: تعريف القصة القرآنية لغة واصطلاحاً.
- وأردفت ذلك بأربعة مباحث، على النحو الآتي:
- **المبحث الأول: والذي جاء تحت عنوان: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله آدم ﷺ . وفيه مطلبان:**
 - **المطلب الأول: التعريف بقصة نبي الله آدم ﷺ.**
 - **المطلب الثاني: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله آدم ﷺ.**
 - **أما المبحث الثاني: فجاء بعنوان: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب ﷺ. وفيه مطلبان:**
 - **المطلب الأول: التعريف بقصة نبي الله شعيب ﷺ.**
 - **المطلب الثاني: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب ﷺ.**
 - **وأما المبحث الثالث: فقد عنوانته بـ: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي القرنين ﷺ. وفيه مطلبان:**

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

- **المطلب الأول:** التعريف بقصة ذي القرنين عليه السلام.
 - **المطلب الثاني:** معالم التنمية المستدامة في قصة ذي القرنين عليه السلام.
 - **وأما المبحث الرابع:** فقد ناقش: **خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني والتشريعات الوضعية. وفيه مطلبان:**
 - **المطلب الأول:** خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني.
 - **المطلب الثاني:** خصائص التنمية المستدامة في التشريعات الوضعية.
- وبعد الأربعة مباحث، جاءت الخاتمة وبها أهم نتائج البحث وتوصياته.

التمهيد

التعريف بعنوان الدراسة

نظرًا لأن إدراك الشيء والحكم عليه يعتمد على تصوره، وهو أيضًا مرتبط بوضوح قواعده، فقد ارتأت الدراسة أن تبدأ بتعريف المصطلحات الأساسية، وهي المعالم، التنمية المستدامة، القصص القرآني. كما تقتضي المنهجية العلمية، أن نبدأ أولاً بالمفهوم اللغوي، ثم ننقل إلى المفهوم الاصطلاحي، مع التركيز على الجوانب الفردية والتركيبية.

أولاً: تعريف المعالم لغة واصطلاحاً.

أ. **المعالم لغة:** جمع "معلم" وهي تشير في اللغة إلى الأثر الذي يُستخدم كدليل على الطريق. أما "معلم الطريق" فيعني دلالاته، و"المعلم" هو ما يُستخدم كعلامة أو علم لتحديد الطريق والحدود، مثل أعلام الحرم والمعالم التي تُحدد موقعه. وبالتالي، فإن معلم الطريق يُعبر عن دلالاته، بينما يُعد كل شيء له دلالة معينة بمثابة معلم، كما يُمكن أن يُقال إن فلاناً هو معلم للخير أيضاً^(٥).

(٥) انظر: المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، (العين واللام والميم)، ٢/ ١٧٧.

والمعنى الذي أود الإشارة إليه في هذا البحث يتجه نحو تعريف المعالم بالدلالة؛ حيث إنني أسعى لفهم دلالة النموذج القصصي القرآني، وكذا تأثيره في استنباط معالم التنمية المستدامة، كما وردت في هذه القصص.

ب. المعالم اصطلاحاً: من خلال التعريف اللغوي يمكن وضع تعريف شامل للمعالم، بأنها: مجموعة العلامات أو الدلائل التي يمكن استنباطها من العبارات والمواقف الدالة على الحقائق المطلوبة فيما يخص قضية التنمية.

ثانياً: تعريف التنمية المستدامة لغة واصطلاحاً.

التنمية المستدامة مصطلح مركب من جزئين:

أ- التنمية لغة: من ينمو الشيء ويزداد، ويُستخدم الفعل "نمى" للدلالة على الزيادة أيضاً. وعندما يُقال "أنماه الله"، يعني أنه رفعه وزاد فيه.. جميع الأشياء على سطح الأرض تنمو أو تبقى ساكنة؛ فالنباتات والأشجار تُعد من النامي، بينما الحجارة والجبال تُصنف كصامتة. ويُعد النامي شيئاً زائداً؛ لأنه مرتبط بالنماء. أما "النامية" من الإبل، فتشير إلى الإبل السمين^٦.

وفي لسان العرب: " (نمى) النماءُ الزيادة، نَمَى يَنْمِي نَمِيًا، وَنَمِيًا وَنَمَاءً زَادَ وَكَثُرَ. وَرَبِمَا قَالُوا يَنْمُو نُمُوًّا.. وَأَنْمَيْتُ الشَّيْءَ وَنَمَيْتَهُ جَعَلْتَهُ نَامِيًا.. وَقِيلَ: نَمَيْتَهُ مَشَدَّدًا أَسَدَدْتَهُ وَرَفَعْتَهُ، وَنَمَيْتَهُ مَشَدَّدًا أَيْضًا بَلَّغْتَهُ عَلَى جِهَةِ النَّمِيمَةِ وَالْإِشَاعَةِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ نَمَيْتَهُ رَفَعْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ، وَنَمَيْتَهُ بِالْتَشْدِيدِ رَفَعْتَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِشَاعَةِ أَوْ النَّمِيمَةِ"^٧.

من التعريف اللغوي السابق يمكن القول بأنّ اللفظ نمى يدور حول عدة معاني هي، الزيادة والكثرة، الرفع والارتفاع، الإبلاغ والإذاعة.

(٦) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، باب النون والميم و(واي ء) معهما، ٣٨٤/٨، ٣٨٥.
(٧) لسان العرب، ابن منظور، مادة: (نمى)، ٣٤١/١٥.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

ب- التنمية المستدامة اصطلاحاً: عرفت الأمم المتحدة التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة، مما يضمن قدرتها على تلبية احتياجاتها الخاصة^٨.

وقد تم استخدام هذا المصطلح بعد أن أصبح واضحاً وجود نقص حاد في الموارد البيئية. ومنذ ذلك الحين، بدأ العالم في اتخاذ مجموعة من المحاولات للحفاظ على الموارد الطبيعية قدر الإمكان. ويُعد مصطلح "التنمية المستدامة" من المصطلحات الحديثة، حيث تم استخدامه لأول مرة في عام ١٩٨٧م^٩.

ثالثاً: التعريف بالمفاهيم المتعلقة بالتنمية المستدامة لغة اصطلاحاً.

أ- الإنسان لغة:

ذكر ابن فارس: أن " (أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلُّ شيءٍ خالفَ طريقة التوحُّش. قالوا: الإنسانُ خلاف الجنِّ، وسُمُّوا لظهورهم. يقال أنستُ الشيء إذا رأيتَه. قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَنْسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا﴾. ويقال: أنستُ الشيء إذا سمعته"^{١٠}.

ويقول ابن منظور: " وروي عن ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: إِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا لِأَنَّهُ عَهْدَ إِلَيْهِ فَنَسِيَ"^{١١}.

" و(الإنس) خلاف الجن و(الإنسي) من الحيوان الجانب الأيسر.. و(الإنسان) من الناس اسم جنس يقع على الذكّر والأنثى، والواحد والجمع.. قال

(٨) انظر: البيئة والتربية البيئية، د. سعاد جعفر عمر، ص ١٣٤.

(٩) انظر: نفس المرجع، ص ١٣٤.

(١٠) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (أنس)، ١٤٥/١.

(١١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (أنس)، ١٠/٦، والحديث أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، برقم ٩٢٥، ١٤٠ / ٢، وقال: " لم يروه عن مسعر إلا أبو أحمد تفرد به أحمد بن عمام". وجاء في مجمع الزوائد، للهيثمي، " أخرجه الطبراني في الصغير. وفيه أحمد بن عمام وهو ضعيف". انظر: مجمع الزوائد، الهيثمي، ٤٤١ / ٦.

الكوفيون مشتق من النسيان، فالهمزة زائدة، ووزنه إفعان على النقص، والأصل إنسيان^{١٢}.

وعليه، فإنّ الجذر اللغوي للفظة (أنس) تدور في اللغة حول معنيين أساسيين هما: الظهور، والنسيان.

ب- الإنسان اصطلاحاً: "هو الروح، والحواس الخمس أجزاء منه. والإنسان جنس واحد غير مختلف، إلا أنّ إدراكه مختلف، فكان يدرك بكل جهة ما لا يدركه بالأخرى؛ لأن الآفة قد خالطته من جهة على خلاف ما خالطته من جهة أخرى، فاختلف الإدراك لاختلاف الأخلاط والامتزاج"^{١٣}.

ج- البيئة لغة: يعود أصل الفعل "بؤاً" إلى معنى الرجوع، حيث يُقال "بأء إلى الشيء يبؤ بؤءاً" بمعنى أنه يعود. ويُستخدم مصطلح "الباءة" للدلالة على النكاح، حيث سُمي النكاح بهذا الاسم؛ لأنّ الرجل يستقر مع أهله، كما يستقر في منزله. ومن هنا، أُطلق اسم "باءة" على عقد الزواج؛ لأنّ من يتزوج امرأةً يمنحها منزلاً^{١٤}.

و(بؤاً) الرجل: تزوج. (البيئة) المنزل والحال، و(المباءة) المنزل^{١٥}.

مما سبق يمكن القول بأنّ للبيئة في التعريف اللغوي معنيين، هما الحال، والمنزل.

د- البيئة اصطلاحاً: عرفت البيئة بأنّها: الوسط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان، بما يضمّ الظاهرات الطبيعية والبشرية ويتأثر بها، ويؤثر فيها^{١٦}.

(١٢) المصباح المنير، الفيومي، مادة: (أنس)، ٢٦/١.

(١٣) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، ٢٥٣/٢.

(١٤) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (بؤاً)، (٣٦/١).

(١٥) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (بؤاً)، ٧٥/١.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

أو هي: المحيط الذي تعيش فيه الكائنات الحية، المعروف أيضاً بالمحيط الحيوي، يشمل في معناه الواسع العوامل الطبيعية، والاجتماعية، والثقافية، والإنسانية التي تؤثر على الأفراد والجماعات من الكائنات الحية^{١٧}. وعليه، فإنه يتبين من التعريفين اللغوي والاصطلاحي أنّ للبيئة دلالتين: الأولى هي: الدلالة الشاملة التي تتضمن البيئة الطبيعية بجميع مكوناتها، بالإضافة إلى البيئة البشرية. أما الدلالة الثانية فهي: الدلالة الضيقة التي تشير إلى الموارد الطبيعية الموجودة في الكون، مثل الماء، والهواء، والنباتات، والحيوانات وغيرها. وهذه الدراسة، تركز على البيئة بمعناها الشامل، الذي يتضمن البيئة الطبيعية بجميع مكوناتها، بالإضافة إلى البيئة البشرية.

و- البيئة في الشريعة الإسلامية: لم ترد كلمة "البيئة" بشكل صريح في القرآن الكريم أو في السنة النبوية، غير أنّ مدلولها غالباً ما يرتبط بكلمة "الأرض". وقد استخدم القرآن مصطلح "الأرض" كبديل للإشارة إلى المكان الذي يعيش فيه الإنسان وما يحيط به من جبال وسهول، وغيرها. قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾^{١٨}.

يقول الإمام الجصاص في معنى الآية: "نسبهم إلى الأرض؛ لأنّ أصلهم وهو آدم ~~الذي~~ خلقه من التراب، والناس كلهم من آدم ~~الذي~~. وقيل: إنّ معناه إنه خلقكم في الأرض، وقوله: ﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ يعني: أمركم بعمارته بما تحتاجون إليه، وفيه دليل على وجوب عمارة الأرض للزراعة، والغراس، والأبنية"^{١٩}.

(١٦) انظر: البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، الفقي، ص ١٠.

(١٧) انظر: المدخل إلى العلوم البيئية، سامح غرابية، ص ١٣.

(١٨) سورة هود، الآية، ٦١.

(١٩) أحكام القرآن، الجصاص، ٣٧٨/٤.

بناءً على ذلك، فإنّ مفهوم البيئية في القرآن الكريم يشير إلى الأرض، وقد وردت العديد من الآيات القرآنية التي تتناول الأرض في سياق الحديث عن إعمارها. وهذا يدل على أنّ البيئية في المعنى القرآني تشمل الأرض وما تحويه من مكونات ٢٠. رابعاً: أهداف التنمية المستدامة.

لقد دعا القرآن الكريم بما فيه من قصص قرآني مجيد إلى العمل، والتنمية، والبناء، وذلك من خلال دعوته إلى عدة أمور، منها:

١. الدعوة إلى الاستمرار في الإصلاح والتوقف عن الفساد.

يقول الله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} ٢١. قال مجاهد: هذا وعيد لهم. قيل: رؤية النبي ﷺ بإعلام الله تعالى إياه، ورؤية المؤمنين بإيقاع المحبة في قلوبهم لأهل الصلاح، والبغضة لأهل الفساد" ٢٢.

ولعل المحبة الواقعة لأهل الصلاح تكون حاملة لهم على الاستمرار في صلاحهم، ويكون البغض لأهل الفساد ناهياً لهم عن الاستمرار في فسادهم.

٢. الدعوة إلى الإيجابية البناءة.

يؤكد القرآن على ضرورة أن يكون الناس إيجابيين في حياتهم، ففي الآيات التي نزلت بعد أحداث غزوة أحد. والتي جاءت لتخفف من حدة ما تعرض له المسلمون من آلام، ولتحثهم على عدم الاستسلام للضعف والهزيمة، وعدم اليأس من نصر الله ﷻ، ولتأكد عليهم أيضاً ضرورة مواجهة المواقف بشجاعة وثبات؛ لأنّ مكانتهم في الدنيا عالية. يقول الله ﷻ: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ

(٢٠) انظر: حماية البيئة، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الكويتي، المسيكان، ص ٣٧.

(٢١) سورة التوبة، الآية، ١٠٥.

(٢٢) معالم التنزيل، البغوي، ٩٢/٤.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

مُؤْمِنِينَ}٢٣. " فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما، وهو الاعتقاد"٢٤. ذلك لأنّ الشعور بالوهن يؤثر سلبيًا على جهاز المناعة لدى الإنسان، بينما يؤدي الحزن المستمر إلى ظهور اضطرابات نفسية متنوعة.

٣. الدعوة إلى إعمار الأرض بالعمل الجاد المستمر.

يحثنا القرآن على البحث في الأرض عن الرزق، وإيجاد عمل يضمن للإنسان وعائلته حياة كريمة، وإعمار الأرض بما يعود بالنفع على الناس، قال تعالى: {فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ}٢٥. " أي إذا فرغتم من صلاة الجمعة، فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم، وابتغوا من فضل الله"٢٦.

٤. الدعوة إلى العلم والعمل الدائم.

يمكن القول بأنّ إرهاصات التنمية المستدامة في القرآن ترجع إلى بدء نزوله على قلب النبي ﷺ، وذلك عند نزول أول آية فيه، قال تعالى: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}٢٧.

والمعنى أنّه" إذا كان الله تعالى قد خاطب نبيه ﷺ أولاً فهو خطاب لكل أحد، والنبي ﷺ أول من سمع هذا الخطاب، ففيه حث الناس على القراءة والعلم النافع، العلم الذي تضمنته رسالته ﷺ فهم مأمورون بقراءة رسالته.. وهو بذلك يبين لهم السلوك الأمثل والأقوم والأصلح والأفصح والأفصح في الدارين، ولا يتركهم لعقولهم

(٢٣) سورة آل عمران، الآية، (١٣٩).

(٢٤) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣/ ٢٢٨.

(٢٥) سورة الجمعة، الآية، ١٠.

(٢٦) لباب التأويل في معاني التنزيل، الخازن، ٧/ ٩٤.

(٢٧) سورة العلق، الآيات، ١-٥.

وآرائهم واستنباطاتهم التي كثيراً ما تضل عن معرفة الحق إذا تركت مستقلة دون الرجوع إلى ما شرعه وأوحاه إلى نبيه ﷺ" ٢٨.

وفي الحديث، عن ابن عمر، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ " قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِقَدَحٍ لَبَنٍ فَشَرَبْتُ، حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرَّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ. قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ الْعِلْمُ" ٢٩.

و" تفسير اللبن بالعلم لكونهما مشتركين في كثرة النفع بهما، وفي أنهما سبباً للصلاح، فاللبن غذاء الإنسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم، والعلم سبب الصلاح في الدنيا والآخرة وغذاء الأرواح.. كما تقوم بالعلم حياة القلوب " ٣٠. وبهذا يعلم أن العلم سبب لصلاح البدن والقلب كليهما.

وبناء على ما سبق، فإنه يمكن القول بأن أهداف التنمية المستدامة في القرآن تقوم على أمرين اثنين، هما:

١. تحقيق تكريم الإنسان، والعمل على حل جميع المشكلات التي تتعارض معه، قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (٣١).

يقول الإمام ابن عاشور: " وقد جمعت الآية خمس منن: التكريم، وتسخير المراكب في البر، وتسخير المراكب في البحر، والرزق من الطيبات، والتفضيل على كثير من المخلوقات. فأما منة التكريم فهي ميزة خص بها الله بني آدم من بين سائر المخلوقات الأرضية. والتكريم: جعله كريماً، أي نفساً غير مبذول ولا دليل في صورته، ولا في حركة مشيه، وفي بشرته، فإن جميع الحيوان لا يعرف

(٢٨) التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة، هشام بن فهمي، ص ٥.

(٢٩) أخرجه البخاري في صحيحه، باب فضل العلم، برقم ٨٣، ٨٧/١.

(٣٠) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر العيني (ت ٨٥٥ هـ)، ٨٧/٢.

(٣١) سورة الإسراء، الآية، (٧٠).

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

النظافة.. ولا الاستعداد لما ينفعه ودفع ما يضره ولا شعوره بما في ذاته وعقله من المحاسن فيستزيد منها والقبائح فيسترها ويدفعها... والحمل: الوضع على المركب من الرواحل.. وأما الرزق من الطيبات فلأنّ الله تعالى ألهم الإنسان أن يطعم ما يشاء مما يروق له، وجعل في الطعوم أمارات على النفع، وجعل ما يتناوله الإنسان من المطعومات أكثر جدًّا مما يتناوله غيره من الحيوان الذي لا يأكل إلا أشياء اعتادها.. وأما التفضيل على كثير من المخلوقات، فالمراد به التفضيل المشاهد؛ لأنّه موضع الامتنان. وذلك الذي جماعه تمكين الإنسان من التسلط على جميع المخلوقات الأرضية برأيه وحيلته.. "٣٢".

والفرق بين التفضيل والتكريم يتجلى في العموم والخصوص؛ حيث يُنظر في التكريم إلى تكريم الشخص ذاته، بينما يُنظر في التفضيل إلى تشريفه مقارنةً بغيره. ويعتمد التفضيل على العقل الذي يساعد في تحسين شئونه ودفع الأضرار عنه، بالإضافة إلى أنواع المعارف والعلوم. هذا هو المعنى المقصود من التفضيل. فالإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعقل وميزه به على سائر المخلوقات هو كائنٌ بشريٌّ مميز، بتسخير الله له جميع ما في الكون، وقد استخلفه ﷺ لعمارة الأرض، وجعله مفكرًا، حرًّا، مسؤولًا عن عمله.

ومن أجل هذا التكريم فرض الله تعالى عليه الصلاة، حيث لا يسجد الإنسان ولا يخضع إلا لمن خلقه ﷻ، كما فرض عليه الزكاة، والمقصود من فرضها تحقيق كرامة الفئة التي لا تقدر على التكسب. قال تعالى: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}** ٣٣. " **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}** أي: ظاهرًا وباطنًا **{وَأَتُوا الزَّكَاةَ}** مستحقيها" ٣٤.

(٣٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٤/١٣٠.

(٣٣) سورة البقرة، الآية، ٤٣.

(٣٤) تيسير الكريم، السعدي، ص ٥٠.

وقد تم فرض الزكاة على المسلمين الذين يمتلكون المال وفقاً للنصوص الشرعية. حيث حددت الشريعة بوضوح معايير من تجب عليهم الزكاة، والمعدل الذي يجب دفعه، بالإضافة إلى الفئات التي يمكنها الاستفادة منها، مثل الفقراء، والمحتاجين، والمدنيين. هذا، وتعد المبالغ المدفوعة من الزكاة أدوات مهمة في توزيع الدخل والثروة، مثل الزكاة، والصدقات، والوقف.

٢. ضرورة المحافظة على البيئة وتنميتها، وجعلها نظيفة خالية من

الفساد.

ومن أجل هذه المحافظة تم تجريم وتحريم الفساد في الأرض، قال تعالى:

{وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} ٣٥.

يقول الإمام الزمخشري: "وهو عام في كل حق ثبت لأحد أن لا يهضم، وفي كل ملك أن لا يغصب عليه مالكة، ولا يتحيف منه، ولا يتصرف فيه إلا بإذنه تصرفاً شرعياً. يقال: عثا في الأرض وعثى وعاث، وذلك نحو قطع الطريق، والغارة، وإهلاك الزروع، وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم أنواع الفساد فنهوا عن ذلك" ٣٦.

ويقول الله تعالى أيضاً: { وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ

خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ } ٣٧.

يقول الإمام القرطبي: "نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر. فهو على العموم على الصحيح من الأقوال. وقال الضحاك: معناه لا تعوروا الماء المعين، ولا تقطعوا الشجر المثمر ضراراً. وقد ورد: قطع الدنانير من الفساد في الأرض. وقد قيل: تجارة الحكام من الفساد في الأرض. وقال القشيري: المراد

(٣٥) سورة البقرة، الآية، ٦٠.

(٣٦) الكشاف، الزمخشري، ٣/٣٣٢، ٣٣٣.

(٣٧) سورة الأعراف، الآية، ٥٦.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

ولا تشركوا؛ فهو نهي عن الشرك، وسفك الدماء، والهرج في الأرض، وأمر بلزوم الشرائع بعد إصلاحها، بعد أن أصلحها الله ببعثه الرسل" ٣٨.

" فذكرهم بترك الإفساد ليكون صلاحهم منزهاً عن أن يخالطه فساد، فإنهم إن أفسدوا في الأرض أفسدوا مخلوقات كثيرة، وأفسدوا أنفسهم في ضمن ذلك الإفساد" ٣٩.

لذلك، فإن الله تعالى أمرنا أن نتعامل مع البيئة من منطلق أنها ملكية عامة، مما يلزم الحفاظ على ثرواتها، ومواردها، ومكوناتها، فضلاً عن تنميتها. كما يدعونا إلى إدارتها إدارة رشيدة حكيمة.

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية قد دعت إلى ضرورة الحفاظ على البيئة وتميئها، من بينها:

١- عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ" ٤٠.

وظاهر هذا الحديث يدلُّ على أنَّ هذه الأشياء تكونُ صدقة يُثاب عليها الزارعُ والغارسُ ونحوهما من غير قصدٍ ولا نيةٍ، ومثله قولُ النبي ﷺ في الحديث، عَنْ أَبِي ذَرٍّ. وفيه " وفي بضعٍ أحدكم صدقةٌ، قالوا يا رسولَ الله: أيأتي أحدنا شهوتهُ ويكونُ له فيها أجرٌ، فقال: أَرَأَيْتُمْ لوَ وَضَعَهَا فِي الْحَرَامِ، أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ" ٤١.

(٣٨) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٢٦/٧.

(٣٩) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٣٣/٨.

(٤٠) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: فضل الزرع والغرس إذا أكل منه وقول الله تعالى {أَفْرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا} ، برقم، ٢٣٢٠، ٣٤/٦.

(٤١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، كتاب المزارعة، برقم، ٢١٥١١، ١٦٧/٥. تعليق شعيب الأرنؤوط: " حديث صحيح. وهذا إسناد قوي رجاله ثقات رجال الصحيح".

والحديث يدلُّ بظاهره على أنَّ المسلم يُوجَرُ في إتيان أهله من غير نيَّةٍ، فإنَّ المَبْاضِعَ لأهله كالزَّراعِ في الأرض الذي يحرث الأرض ويبذر فيها ٤٢.

٢- عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ النَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ، قَالَ: كَاتَبْتُ أَهْلِي عَلَى أَنْ أَغْرَسَ لَهُمْ خَمْسَ مِائَةِ فَسِيلَةٍ، فَإِذَا عَلَقْتُ فَأَنَا حُرٌّ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: "اغْرَسْ وَأَشْتَرِطْ لَهُمْ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَغْرَسَ، فَأَذْنِي. قَالَ: فَأَذْنْتُهُ، قَالَ: فَجَاءَ، فَجَعَلَ يَغْرَسُ بِيَدِهِ إِلَّا وَاحِدَةً غَرَسْتُهَا بِيَدِي، فَعَلِقَنَ إِلَّا الْوَاحِدَةَ" ٤٣.

وهذا الحديث فيه تشجيع على الغرس، كما أنَّ فيه دعوة إلى تكثيره، ذلك أنَّ غرس الأشجار أو النباتات يُعدُّ من أهم العوامل التي تساعد على التوازن البيئي، ومعلوم أنَّ التوازن البيئي فيه مصلحة كبيرة لاستقرار النظام على كوكب الأرض، وقد تحدث العلم الحديث عن مجموعة من الحقائق الثابتة التي لا تقبل التكذيب، ذلك لأنها أصبحت واقعا ملموسا؛ بدءا مما يطلق عليه ثقب الأوزون، ومرورا بما يحدث من تغيرات مناخية، وانتهاءً بذوبان الكتل الجليدية وارتفاع درجات الحرارة.

وقد استخدم الإمام علي كرم الله وجهه مصطلح "العمارة"؛ للإشارة إلى مفهوم التنمية في رسالته إلى واليه في مصر، مالك بن الحارث الأشتر رضي الله عنه، حيث جاء فيها: "ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنَّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، يعني هذا الخراج الذي تريد الحصول عليه، لن تحصل عليه إلا بعمارة الأرض، وبالاهتمام بهذه الأرض؛ لأنَّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة أخرج البلاد" ٤٤.

(٤٢) انظر: جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، ١٢/٢٦.

(٤٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب: حديث رفاعة بن شداد عن عمرو بن الحمق رضي الله عنه، برقم، ٢٣٧٨١، ٤٠/٥. تعليق شعيب الأرنؤوط: "حديث صحيح. وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد".

(٤٤) السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص ١٢٥.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

في ضوء ما سبق يتبين للبحث أنّ حياة الرسول ﷺ والخلفاء من بعده، كانت نموذجاً يحتذى به في الأخلاق الحميدة، والمعاملات الحسنة، حتى في التعامل مع الحيوان، والنبات، والطير، وكافة عناصر الطبيعة، كالهواء، والماء، والأرض^{٤٥}. ولاشك أنّ هذه الأخلاق الكريمة والتعاليم القيمة الواضحة مستمدة من نصوص القرآن والسنة النبوية المطهرة، وبمجموع هذه النصوص قد رسم الإسلام منهجاً واضحاً لشريعة الله في أرضه.

هذا، وقد ارتبطت أهداف التنمية في التشريعات الوضعية بما انتهت إليه الأمم المتحدة، بإصدار خطتها لعام ٢٠٣٠م. حيث الدعوة العالمية للعمل من أجل تحقيق العدالة، وحماية كوكب الأرض، وضمان رفاهية جميع الناس. وهو ما يؤكد أنّ الإسلام سابق في دعوته إلى التنمية عن كل التشريعات الإنسانية، فضلاً عن ربانيتها التي لا تجنح إلى التدليس والزيغ. ويمكن تلخيص أهداف التنمية في التشريعات الوضعية في أربع نقاط، وذلك على النحو الآتي:

١. اعتماد الجانب البشري عنصراً أساسياً في عملية التنمية، حيث يجب تلبية احتياجات الأفراد الأساسية بما يحفظ كرامتهم، ويضمن لهم حياة كريمة، خاصة الفقراء.

٢. اعتبار حق الأجيال القادمة في الموارد الطبيعية.

٣. ضرورة المحافظة على البيئة والمحيط الطبيعي بكل مكوناته.

٤. وجوب منح الحق لكل أفراد المجتمع للمشاركة في عملية التنمية، وضمان إشراك الجميع في اتخاذ القرارات، مع الأخذ بعين الاعتبار تنوع الخصوصيات الثقافية، والدينية، والحضارية للمجتمعات^{٤٦}.

(٤٥) انظر: الرعاية الرقابية والعقابية للبيئة الطبيعية في الإسلام، الكيلاني، ص ١٣٠.

(٤٦) انظر: أبعاد وأهداف التنمية المستدامة، زيزي مصطفى، ص ٨٧٧ - ٨٩٨.

خامساً: تعريف القصة القرآنية لغة واصطلاحاً.

أ. تعريف القصة لغة:

القاصُّ هو من يروي القصص بأسلوبه الخاص، بينما يُشير "القصاص" إلى التعويض عن الجراحات والحقوق بشكل متتابع. ويشتمل هذا المصطلح على معاني مثل الاقتصاص والاستقصاء والإقصاء، حيث يُعبر "اقتص منه" عن أخذ شيء منه، و"استقص منه" تعني طلب الحصول على تعويض، بينما "أقصه به" تعني إبلاغه بذلك^{٤٧}. و[قصص] ق ص ص: قصُّ أثره أي: تتبعه من باب الرد، والقصة تعني الحديث أو الرواية. وقد اقتص الحديث بمعنى رواه بشكل صحيح، بينما استقصه يعني سأله ليقصه له^{٤٨}.

و"القصُّ فعل القاصِّ إذا قصَّ القصص.. والقاص الذي يأتي بالقصة من فصها. ويقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء. ومنه قوله تعالى: (وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) أي اتبعي أثره"^{٤٩}.

مما سبق يمكن القول بأن الجذر اللغوي لمادة (قص) يأتي بعدة معاني، هي: الحديث، الخبر، التتبع، الطلب.

ب. تعريف القصة اصطلاحاً:

القصة هي: "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة"^{٥٠}.
أو هي: "حكاية تعتمد على السرد والوصف، وقد يدخل فيها الحوار أحياناً"^{٥١}.

(٤٧) انظر: كتاب العين، الخليل بن أحمد، باب: القاف مع الصاد (ق ص مستعمل فقط)، ٥/ ١٠، ١١.

(٤٨) انظر: مختار الصحاح، الرازي، باب: القاف، ١/ ٥٦٠.

(٤٩) لسان العرب، ابن منظور، مادة: قص، ٧/ ٧٣.

(٥٠) مفاتيح الغيب، الرازي، ٨/ ٧٤.

(٥١) الأدب المقارن، أحمد زيدون وأصحابه، ص ١٢٦.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

أو هي: "كشف عن آثار وتنقيب عن أحداث نسيها الناس أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد لهذا الكشف هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها؛ ليكون لهم منها عبرة وموعظة" ٥٢.

مما سبق من تعريف القصص لغة واصطلاحاً، يمكن للبحث أن يتخير تعريفاً يتناسب مع ما ترنو إليه الدراسة، على أنه: مجموعة الأحاديث والأخبار التي لا ترتبط بزمن معين، تدل دلالة قطعية في القرآن على التاريخ الماضي. أريد البحث فيها لإخراج العبر والعظات الدالة على المعاني المرادة من دراستها؛ بغية تذكير الناس بها.

(٥٢) انظر: القصص القرآني في منظومه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، ص ٨٤.

المبحث الأول

معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله آدم عليه السلام

المطلب الأول: التعريف بقصة نبي الله آدم عليه السلام.

الناظر المتأمل في أوامر ونواهي القصص القرآني المجيد، يجد أن لهذه الأوامر وتلك النواهي تأثيراً كبيراً بدعوتها إلى التنمية المستدامة، والتطوير المستمر، والتجديد الدائم. وهذا ما يحاول أن يسعى إليه عالم اليوم، فحلي بالأمّة المسلمة أن تحاول جاهدة البحث عن التنمية في كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم. ومن أجل استكشاف هذه الدعوة، سيغوص البحث في أعماق القصص القرآني ليستخرج أبرز معالم التنمية المستدامة التي تحتويها.

ولعل ما يمكن أن يبدأ به هي قصة نبي الله آدم عليه السلام، حيث إنّها تحمل في أطوائها العديد من المعالم الداعية إلى التنمية المستدامة. وملخص هذه القصة جاء على النحو التالي: " أراد الله خلق آدم عليه السلام ليكون في الأرض هو وذريته من بعده.. فجعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة إذ ذاك وكان اسمه عزازيل يطيف به، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق لا يتمالك، وقال أما لئن سلطت عليك لأهلكنك، ولئن سلطت علي لأعصينك، فلما أن نفخ الله في آدم عليه السلام من روحه وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسد عظيم وامتنع من السجود له، وقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، فخالف الأمر واعترض على الرب صلى الله عليه وسلم، وأخطأ في قوله وابتعد من رحمة ربه، وأنزل من مرتبته التي كان قد نالها بعبادته، وكان قد تشبه بالملائكة، ولم يكن من جنسهم؛ لأنه مخلوق من نار، وهم من نور، فخانه طبعه في أحوج ما كان إليه، ورجع إلى أصله النار، فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. وقال تعالى: وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق.. فأهبط إبليس من المأ الأعلى.. فنزل إلى الأرض حقيراً ذليلاً مذؤوماً مدحوراً متوعداً بالنار هو ومن اتبعه، من الجن والإنس، إلا أنه مع ذلك جاهد كل الجهد على إضلال بني آدم عليهم السلام بكل طريق وبكل مرصد، كما قال أرأيتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتكن ذريته إلا قليلاً ٥٣.

وبذلك يُعلم أنه بعد نزول آدم عليه السلام إلى الأرض، كان لابد من توافر العوامل المساعدة على بقائه حياً، من سكن، ومأكل، ومشرب، وخلافه. وهذه الأشياء لابد لها من تنمية ونماء، بمعنى تطويرها، وتجديدها، وتحديثها، وكثرتها، بالإضافة إلى استمرارها واستدامتها.

ولعل من الفوائد التي يمكن استخلاصها من قصة آدم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً.. إِلَى نَهَايَةِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٥٤.

١. أن الله تعالى قد أبرز فضل آدم عليه السلام من خلال التأكيد على أن علمه مستمد من تعليم الله له. كما أن إمداده بالعلم يدل على اختصاصه بإنعام الله عليه. وأن العلم الذي يُكتسب من خلال التفكير والنظر قد يتعرض للخطأ والخلل، مما قد يؤدي بصاحبه إلى الإفساد رغم نيته في الإصلاح.

وعلى النقيض من ذلك تماماً، فإن العلم الذي يتلقاه الإنسان من تعليم الله ﷻ هو علم يتوافق مع الواقع بشكل قاطع، ولا يُخشى على صاحبه من الانحراف عن

(٥٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٥٦/١.

(٥٤) سورة البقرة، الآيات، ٣٠-٣٨.

طريق الإصلاح. لذا، فإنّ صاحب هذا العلم هو الأنسب للخلافة في الأرض. ومن هنا، يتضح لكل ذي لب أنّ السياسة الشرعية هي الأسمى والأفضل من كل سياسة، وأنّ الأحكام الإلهية التي تأتي من قبل السماء هي الأصوب والأعدل عن قوانين البشر ٥٥.

٢. إنّ سياسة الأمم المثلى تعتمد على أساس قوي من العلم، حيث يتفوق فضل العلم النافع على فضل العبادة. وعندما تسيطر روح الشر الخبيثة على نفس من النفوس، فإنّها تعميها عن رؤية الحقائق الواضحة، ولا تدفعها إلى الخير حتى لو وُعدت، كما أنّها لا تمنعها عن الشر حتى لو هُدّدت.

٣. إتاحة الرئيس الفرصة لمروّوسيه المخلصين مناقشة الأمور التي يرغب في إنجازها. فهو يعبر عن وجهة نظره بلطف، وعندما يتجاوزون حدود الأدب، يأخذ في اعتباره ما يعرفه عن نواياهم الطيبة، كما أنّه يتقبل اعتراضهم ونصائحهم برحابة صدر.

٤. إنّ الشخص الذي يتمتع بنعمة يجب عليه الحفاظ عليها من خلال شكر الله ﷻ. وعليه أنّ يتجنب القيام بأي عمل يتعارض مع أوامره. فمخالفة أوامر الله غالبًا ما تؤدي إلى زوال تلك النعمة. ومن يرغب في زيادة النعم التي يمتلكها، فعليه الالتزام بطاعة الله وشكره ٥٦.

المطلب الثاني: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله آدم عليه السلام.

يشتمل القرآن الكريم على مجموعة من القصص التي تسلط الضوء على أحوال الأمم السابقة، وهي بلاشك تشاركه في خصائصه وصفاته العامة. ومن أبرز

(٥٥) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١ / ٩٦.

(٥٦) انظر: التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١ / ١٠٤.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

هذه الخصائص الإعجاز، حيث تحمل هذه القصص مجموعة دلالات لمعالم يمكن استنباطها للإسهام في تحقيق التنمية المستدامة، وتلبية احتياجات عالمنا المعاصر. والإعجاز الموجود في القرآن الكريم كائن في أسلوبه، وحقائقه، وآياته، وفيما رُوِيَ لنا من قصص الأنبياء السابقين، وفيما صح من التوراة والإنجيل، وفيما أتى به من علم لم تكن تعلمه البشرية، وما تزال حتى الآن لا تعلمه، كل ذلك يجعل القرآن لا ريب فيه ٥٧.

ومن خلال قصة نبي الله آدم عليه السلام، تم تحديد أربعة عناصر رئيسة للتنمية المستدامة، والتي يمكن استخدامها نقطة انطلاق للحفاظ على الإنسان الذي يُعد جوهر التنمية، وبالتالي يمكن من خلاله تحقيق عملية التنمية بشكل كامل وفعال.

المعلم الأول: العلم والتعليم.

إنّ أي عملية تنمية لا تستثمر في الإنسان بشكل عام، أو في الشباب بشكل خاص، تعد عملية غير مثمرة. لذلك، فإنه يجب أن تتضمن النهضة الاقتصادية هذا الجانب التربوي الذي يجعل من الإنسان القيمة الاقتصادية الأساسية، فالإنسان هو الوسيلة الحقيقية لتحقيق خطة التنمية الشاملة والمستدامة، كما أنه نقطة الالتقاء التي تلتقي عندها جميع الخطوط الرئيسة في البرامج المعروضة لتحقيق عملية الإنجاز ٥٨.

من هذا المنطلق، يقول الله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}** ٥٩. يتضح من الآية الكريمة أنّ تعليم الإنسان يُعدّ أحد أهم الركائز الأساسية، والأكثر أهمية لتحقيق

(٥٧) انظر: تفسير الشعراوي، الشعراوي، ١ / ١١١.

(٥٨) انظر: المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن الحاج، ص ٧٧.

(٥٩) سورة البقرة، الآية، ٣١.

التنمية المستدامة على الأرض، تحديداً لأولئك الذين ستُسند إليهم مهمة إعمارها وخلافتها.

يقول الإمام ابن عاشور: "فإنّ تعليم آدم عليه السلام الأسماء وإظهار فضيلته بقبوله لهذا التعليم دون الملائكة جعله الله حجة على قوله لهم: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} أي: ما لا تعلمون من جدارة هذا المخلوق بالخلافة في الأرض، وعطف ذكر آدم عليه السلام بعد ذكر مقالة الله للملائكة وذكر محاورتهم، يدل على أنّ هذا الخليفة هو آدم عليه السلام" ٦٠.

كما يؤكد على ذلك الإمام محمد سيد طنطاوي، بقوله: "ففي هذه الآية الكريمة أخبرنا الله ﷻ أنّه قد أذن لآدم عليه السلام في أن يخبر الملائكة بالأسماء التي فانتهم معرفتها؛ ليظهر لهم فضل آدم عليه السلام، ويزدادوا اطمئناناً إلى أنّ إسناد الخلافة إليه، إنّما هو تدبير قائم على حكمة بالغة" ٦١.

وبناءً على ذلك، فإنه لا يمكن تحقيق تنمية شاملة ومستدامة دون الارتكاز على هذا الأساس الجوهرى الذي تعتمد عليه شؤون الدين، والدنيا، والآخرة. ونظراً لأهمية هذا المعلم، فقد جعل الله ﷻ منه رداً على سؤال الملائكة عندما تساءلوا: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ} قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}. فمن خلال العلم يتم التفريق بين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، وبه يعرف فضل الأشياء بعضها على بعض، كما تُكتشف به سبل علاج الأجسام في الطب، وتتقدم به علوم الهندسة والحساب، وغير ذلك الكثير.

(٦٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١/ ٣٩٣.
(٦١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١/ ٩٦.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

ومعلوم أنّ هذه العلوم المذكورة آنفاً، تحتاج إلى أبحاث علمية حديثة بين الحين والآخر. وهذا لا يتأتى إلا بالعلم، وعليه، فإنّ العلم هو أحد أهم الركائز الأساسية للنهضة والتنمية المستمرة.

وفي بيان فضل العلم يقول تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ٦٢. " فالأمر في قوله: {فَاعْلَمْ} كناية عن طلب العلم وهو العمل بالمعلوم، وذلك مستعمل في طلب الدوام عليه؛ لأنّ النبي ﷺ قد علم ذلك وعلمه المؤمنون، وإذا حصل العلم بذلك مرة واحدة تقرر في النفس؛ لأنّ العلم لا يحتمل النقيض، فليس الأمر به بعد حصوله لطلب تحصيله بل لطلب الثبات.. ومن اللطائف القرآنية أنّ أمر هنا بالعلم قبل الأمر بالعمل في قوله: {وَاسْتَغْفِرْ لِدُنُوبِكُمْ} " ٦٣.

وعليه، فإنّه إذا كان الله ﷻ قد استخلف آدم عليه السلام في الأرض، وكانت التنمية تعني الخلافة؛ فإنّه لا يمكن تصور تلك الخلافة من غير تنمية حقيقية. لذلك، كان الأمر بها بعد تحصيلها والتكليف بها، إنّما هو للاستمرار والاستدامة عليها، والسعي الجاد للاستزادة منها.

إضافة إلى ذلك، يقول الرسول الكريم في الحديث، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ " ٦٤.

فمن " سلك طريقاً حسية أو معنوية. ونكره ليتناول أنواع الطريق الموصلة إلى تحصيل أنواع العلوم الدينية.. (علمًا) نكره ليشمل كل علم وآلته، ويندرج فيه ما

(٦٢) سورة محمد، الآية، ١٩.

(٦٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٨٨/٢٦.

(٦٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، برقم، ٨٢٩٩، ٣٢٥/٢، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

قل وكثر.. (سهل الله له به) أي بسببه (طريقاً) في الآخرة أو في الدنيا بأن يوفقه للعمل الصالح (إلى الجنة) أي إلى السلوك المفهوم.. فأبان أن العلم ساعد السعادة، وأس السيادة، والمراقبة إلى النجاة في الآخرة، والمقوم لأخلاق النفوس الباطنة والظاهرة. فهو نعم الدليل والمرشد إلى سواء السبيل "٦٥.

واستناداً إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تبرز أهمية العلم، يتبين للبحث أن العلم يعد الوسيلة الأولى والأساسية لتحقيق الترقى الدنيوي والأخرى. ففي الدنيا التقدم والازدهار؛ حيث الإسهام في تحقيق التنمية المستدامة في المجتمعات الإسلامية، وذلك عن طريق ما يحققه من تقدم تكنولوجي في جميع المجالات التي تدعم البنية التحتية، من صناعة، وزراعة، وتجارة، وغيرها من المجالات. مما يوجه نحو تعزيز بناء المجتمعات، وأيضاً من خلال عمل مشاريع كبيرة تمتد إلى فترات زمنية طويلة تصل إلى مئات السنين. توفر بذلك عوائد للمستفيدين. وبالتالي، إسهامها في تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة. وفي الآخرة حيث الترقى في درجات الجنان.

وعليه، فإن العلم بهذه الصورة المذكورة يعد أداة فعالة للوصول إلى أعلى وأرفع المقامات والدرجات في الدنيا والآخرة. الأمر الذي يؤدي بالضرورة إلى تعزيز الدين، ونشر روح المحبة والعدالة، ورفع الظلم، وترسيخ القيم الأخلاقية. وعندما يتم تطبيق هذه المبادئ بشكل صحيح، تتحقق التنمية المرادة.

المعلم الثاني: الاستقرار مع العمل المنضبط بأفعل ولا تفعل (الحوكمة).

يعد الاستقرار بكافة أشكاله وأبعاده من أبرز مقومات الحياة الكريمة، وتحقيق القوة والتمكين، والتقدم والتنمية. ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة في

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

المجالين السياسي والاقتصادي، حيث إنّ أي اضطراب في هذين المجالين يؤثر سلبيًا على حياة الأفراد. لذا، نجد أنّ مصطلح "الاستقرار" يتكرر بشكل كبير في السياقات السياسية والاقتصادية، إذ يُعدّ ضرورة أساسية للحياة الكريمة. والدلائل على ذلك من النصوص الشرعية والتاريخية والوقائع المعاصرة تفوق الحصر.

يقول الله ﷻ في معرض امتنانه على نبيه آدم عليه السلام: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ ٦٦.

"والأمر بقوله {اسْكُنْ} مستعمل في الامتنان بالتمكين، والتحويل، وليس أمرًا له بأن يسعى بنفسه لسكنى الجنة، إذ لا قدرة له على ذلك السعي فلا يكلف به" ٦٧.

كما أنّ قوله: " اسْكُنْ أمر من السكنى، بمعنى اتخاذ المسكن على وجه الاستقرار" ٦٨.

والآية تبين أنّ الإنسان إذا ما دخل في العقد الإيماني، فإنّه في هذه الحالة يجب عليه أن يتلقى توجيهاته من الجهة العليا، بشأن ما يجب فعله، وما يجب تركه. ومن الضروري أن يلتزم بهذا المنهج دون أن يتساءل عن الحكمة وراء ما يؤمر به. فالإيمان يعتمد على الغيب، وإذا كان الأمر غائبًا عنا، فكيف يمكننا أن نعرف حكمته؟.

وعليه، فإنّ العمل المنضبط بالفعل ولا تفعل عمل لا يتحقق من ورائه فساد. ذلك وأنّ الفساد يعني تغيير قواعد الفعل والامتناع، حيث يتم استبدال ما يجب فعله بما لا يجب. وبالتالي، يتغير الميزان، فتجد نفسك تفعل ما نهى الله عنه، وتترك ما أمر به. وهذا يؤدي بالضرورة إلى عكس ميزان الحياة. لماذا يحدث ذلك؟ لأننا لا

(٦٦) سورة البقرة، الآية، ٣٥.

(٦٧) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٤١٣/١.

(٦٨) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٩٩/١.

نتبع قاعدة شاملة تنظم حياة الجميع، مما يجعل كل شخص يضع قاعدته الخاصة، ويبتعد عن واجباته، الأمر الذي يؤدي إلى تصادمات في الحياة المعيشة. وإذا كان كل فساد يخلق قبلاً في الوجود، هذا القبح من شأنه أن يؤخر عملية التنمية المراد منها الاستقرار والاستدامة، ذلك وأن القبح يحتاج إلى إصلاح، والإصلاح يضيع مدخرات التنمية. وبالتالي، الرجوع للخلف، وليس التقدم للأمام. يقول الإمام الشعراوي وهو بصدد خواطره حول قوله تعالى: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} هو استكمال للمنهج. فهناك أمر ونهي فاعل ولا تفعل: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ} أمر: {وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا} أمر، {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ} نهي. وهذا أول منهج يعلم الإنسان الطاعة لله ﷻ، والامتناع عما نهى عنه، وكل رسائل السماء ومناهج الله في الأرض أمر ونهي. افعل كذا، ولا تفعل كذا. وهكذا فإن الحق ﷻ ضمن لأدم ﷺ الحياة، وليست الحياة فقط ولكن رغداً^{٦٩}.

بناءً على ذلك، إذا كانت هناك رغبة في تحقيق التنمية الشاملة، فإنه من الضروري اتباع منهج يتضمن الأفعال المسموح فعلها، والأفعال المنهي عنها. هذا هو المنهج الأول الذي علمه الله ﷻ لنبيه آدم ﷺ. ومن خلال هذا النهج، يمكن ضمان تنفيذ عملية التنمية الشاملة والمستدامة بأفضل صورة ممكنة.

المعلم الثالث: تطبيق مبدأ الثواب والعقاب.

يُعد مبدأ الثواب والعقاب من أبرز أنواع الحوافز على العمل، وهو مفهوم راسخ في الأدبيات، يهدف إلى تحفيز الأفراد لبذل المزيد من الجهد أو لتصحيح سلوكياتهم المنحرفة. ولا يقتصر العمل بهذا المبدأ على العصور القديمة فحسب، وإنما يتم العمل به في أيامنا هذه، في العديد من الاقتصاديات، والمنظمات،

(٦٩) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٢٦١/١.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

والمدارس، والجامعات، على أنه وسيلة فعالة للتشجيع على العمل الجاد، وزيادة النشاط والإنتاج.

على سبيل المثال، يُستخدم العقاب بشكل شائع لتحفيز الموظفين في أماكن عملهم، والطلاب في مدارسهم، والنساء في منازلهن، والمواطنين في بلدانهم، مع اختلاف الوسائل المستخدمة في العقاب. هذا، وقد طبق الله تعالى مبدأ الثواب والعقاب على نبيه آدم عليه السلام، وذلك بعد أن بين له عليه السلام الأوامر والنواهي، وحذره من مكر الشيطان.

وفي هذا الإطار أعد الله عليه السلام نبيه آدم عليه السلام لخلافته في الأرض، وذلك بعد أن أخضعه لتدريب يؤهله لتحمل مسؤوليات الاستخلاف في الكون. وقد جرى هذا التدريب في بيئة توفر له فيها الراحة والأمان، فلم يكن من الحكمة أن يدخل الله آدم عليه السلام إلى ذلك الكون الواسع دون أن يهيئه أولاً للمهمة التي أعده لها.

وعلى الرغم من تحذير الله لنبيه آدم عليه السلام من مكر إبليس، إلا أن آدم عليه السلام قد أطرق أذنيه لعدوه فقاده إلى ارتكاب ما نهاه الله عليه السلام عنه. يقول الحق تبارك وتعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ} ٧٠. "فَأَزَلَّهُمَا" استنزل {الشَّيْطَانُ} آدم عليه السلام وحواء، أي دعاهما إلى الزلة: وقرأ حمزة: فأزلهما، أي: ناحهما" ٧١. هذا، وقد وقعت التنحية والإخراج من الجنة بعد الذي كان من خطيئة آدم عليه السلام وزوجته، وتسبب إبليس ذلك لهما" ٧٢. قال تعالى: {فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ، وَقَلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ

(٧٠) سورة البقرة، الآية، ٣٦.

(٧١) معالم التنزيل، البغوي، ٨٣/١.

(٧٢) جامع البيان، الطبري، ٥٣٥/١.

وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ {٧٣}. مع قوله: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا، فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} {٧٤}.

" وليست هذه الإعادة من قبيل التكرار الذي يقصد منه مجرد التوكيد، بل قص الأمر بالهبوط أولاً ليعلق عليه معنى هو كون بعضهم لبعض عدواً. ثم قصه ثانية ليعلق عليه معنى آخر هو ما ترتب على الهبوط من تفصيل لحال المخاطبين، وانقسامهم إلى مهتدين وضالين" {٧٥}.

من هنا يمكن القول، بأن الله قد ربي نبيه آدم عليه السلام من خلال مبدأ الثواب والعقاب، حيث أخرج من الجنة، وكانت العقوبة لهما قوله تعالى: {اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ}. وهو بذلك يرسخ له هذه الآلية التي يجب أن يتعامل بها في حياته؛ حتى تستقيم الأمور، وتستمر عملية التنمية المرادة من قبل الله ﷻ، ذلك وأن هذا المبدأ من أهم المبادئ التي تنظم العلاقة بين المخلوق وخالقه، وبين البشر بعضهم ببعض، كما أنه يعدّ أساساً حيويًا في توازن الحياة. لهذا، يصبح من الضروري تطبيق مبدأ الثواب والعقاب على جميع الخلق دون استثناء. كما أنه يجب أن تُرسى قواعد الحساب والمساءلة والانضباط، مع الإرشاد وتحفيز المتميزين ومجازاة المقصرين. ويجب أن يتم توحيد معايير الكفاءة، والنزاهة، والالتزام.

وعليه، فإنّ مبدأ الثواب والعقاب يُعدّ من الوسائل التربوية الأساسية التي اعتمد عليها قصص القرآن لحماية المجتمع من ارتكاب المحذورات أو المحرمات. فهما يُستخدمان لتأديب المخطئين وترهيب المنحرفين، كما يشجعان المؤمنين على

(٧٣) سورة البقرة، الآية، ٣٦.

(٧٤) سورة البقرة، الآية، ٣٨.

(٧٥) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ١/١٠٣.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

الالتزام بالأوامر، والابتعاد عن النواهي، ويحثانهم على القيام بالأعمال الصالحة؛ طمعاً فيما عند الله، ورجاءً في عفوه وغفرانه. وقد تناول القصص القرآني العديد من الحوافز والمكافآت لمن التزم بما أمر به، واجتنب ما نُهي عنه. وفي الختام، فإنّ صراع الحياة واختلاف الطباع يستدعي وجود ثواب للخير وعقاب للشر.

وهذا ما صنعه الملك العادل ذو القرنين، مع أهل الإيمان والكفر، يقول تعالى على لسانه: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} ٧٦.

" هكذا أقام ذو القرنين العدل، بتعذيب الظالم، وتكريم المؤمن صاحب العمل الصالح. وقول الحق ﷺ على لسان ذي القرنين: {أَعْيُنُونِي} يعطينا كيفية إدارة العدل في الكون، فذلك الذي أعطاه الله الأسباب إن أراد أن يعين الضعفاء، فعليه أن يشركهم في العمل معه، ولا يعمل هو وهم يتفرجون وإلا تعودوا على الكسل فتنفسد همة كل منهم. ولكن إذا جعلهم يعملون معه سيتعلمون العمل ثم يتقنونه فتزداد مهارتهم وقوتهم في مواجهة الحياة " ٧٧.

المعلم الرابع: تقديم الرعاية والاهتمام(الاصلاح والتهديب).

ما كان الله ﷻ ليترك نبيه آدم عليه السلام بعد أن غوى: " أي أخطأ وضلّ، ولم ينل مراده ممّا أكل" ٧٨، بل أتم عليه النعمة باجتنابه، وهدايته، ورعايته، واهتمامه، حيث منحه فرصة للتوبة والرجوع إليه. قال تعالى: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ

(٧٦) سورة الكهف، الآيتان، ٨٧، ٨٨.

(٧٧) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ٤٨٧٢/٨.

(٧٨) الكشف والبيان، الثعلبي، ٢٦٤/٦.

وَهَدَىٰ {٧٩}. " فالمعنى، ثم اصطفاه فتاب عليه أي: عاد عليه بالعفو، والمغفرة، وهدهد رشده، حتى رجع إلى الندم، والاستغفار، وقبل الله منه ذلك" ٨٠.

ولعل ما يمكن أخذه من ذلك أن إبليس ماضٍ في غيِّه، مستمر في عصيانه، دون أن يقلع عنه ما دامت الدنيا. غير أنه من اقتدى بنبي الله آدم عليه السلام في الاعتراف بخطئه وزلته، وطلب المغفرة، والتوقف عن الذنوب إذا وقع فيها، فإن ربه يجتبيه ويهديه. أما من سار على نهج إبليس، فحين يذنب لا يتراجع، بل يستمر في زيادة معاصيه، فإنه لا ينال من الله إلا المزيد من البُعد عنه.

ومن كمال الهداية والرعاية واستكمال التنمية المستدامة في ذرية بني آدم عليه السلام أرسل الله ﷺ إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، وطلب منهم أن يدعوه في كل وقت وحين، قال تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} ٨١. " أي: اعْبُدُونِي دُونَ غَيْرِي أُجِبْكُمْ، وَأُنِيبْكُمْ، وَأَغْفِرْ لَكُمْ" ٨٢.

وعليه، فإن تشريع التوبة ليس مجرد رحمة للعاصي، بل هو رحمة للمجتمع بأسره. فعندما يخطئ الإنسان ويشعر بأنه لا أمل له في التوبة أو النجاة من عذاب الآخرة، فإنه قد يستمر في ارتكاب المعاصي. إذ لا يكون لديه أي أمل في الغفران أو التوبة، وهذا لاشك فساد في الأرض، والفساد يؤدي بدوره إلى تأخير عملية التنمية وعرقلتها. وبالتالي، الذي سينتشر سلبيًا في هذه الحالة؟ إنه المجتمع الذي يعيش فيه كل الناس.

(٧٩) سورة طه الآية، ١٢٢.

(٨٠) مفاتيح الغيب، الرازي، ١١١/٢٢.

(٨١) سورة غافر الآية، ٦٠.

(٨٢) معالم التنزيل، البغوي، ١٥٦/٧.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

مما سبق يمكن القول بأن معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله آدم عليه السلام جاءت على النحو التالي:

١. معلم العلم والتعليم.
٢. معلم الاستقرار مع العمل المنضبط بأفعل ولا تفعل (الحوكمة).
٣. معلم تطبيق مبدأ الثواب والعقاب.
٤. معلم تقديم الرعاية والاهتمام (الإصلاح والتهديب).

المبحث الثاني

معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب عليه السلام

المطلب الأول: التعريف بقصة نبي الله شعيب عليه السلام.

يقول الله تعالى: {وَالِى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ..} إلى قوله تعالى: وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ^{٨٣}. ذكرت قصة نبي الله شعيب عليه السلام في عدة مواضع من القرآن الكريم، منها سور الأعراف، وهود، والأنبياء، والعنكبوت، وغيرها. وتتلخص القصة في أن الله أرسل شعيبًا عليه السلام نبيًا إلى قوم مدين، وهم قوم كانوا يشركون بالله ويعبدون الأيكة، وهي شجرة تحيط بها غابة كثيفة. وقد اشتهر قومه بسوء المعاملة، والغش في الكيل والميزان، حيث كانوا يطففون فيهما، ويأخذون حقوق الناس بغير حق. فبعث الله فيهم شعيبًا عليه السلام، وهو رجل منهم، داعيًا إياهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. كما طالبهم بالإقلاع عن أفعالهم السيئة، وتحري العدل في المعاملات. فأمن بعض أفراد قومه، لكن الأكثرية كفرت به واستمرت في ضلالها، مما أدى إلى أن ينزل الله عليهم العذاب وينجي المؤمنين منهم^(٨٤).

المتأمل في الآيات السابقة يجد أن نبي الله شعيبًا عليه السلام قد أوصى قومه بعبادة الله تعالى، ثم أضاف إلى ذلك نهيه عن خيانة المكيال والميزان، حيث تعد هذه الخيانة مفسدة كبيرة، إذ تجمع بين صفتي السرقة والغدر. وقد ارتبط الأمر بالوفاء في الكيل بعبادة الله وحده، لأن كلا الأمرين يتطلب إعطاء كل ذي حق حقه دون

(٨٣) سورة هود، الآيات، ٨٤ - ٩٤.

(٨٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ١/١٨٥.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

أي نقص. كما أوضح أنّ عدم الوفاء بالمطلوب يؤدي إلى ظلم الناس في ممتلكاتهم، ويؤدي إلى فساد في الأرض بعد ذلك. ولعل عطف النهي عن خيانة المكيال والميزان على الأمر بعبادة الله ﷻ؛ ما يدل دلالة واضحة على أنّ الاعتراف بحق الله تعالى في الربوبية والألوهية حامل على إعطاء كل ذي حق حقه.

مما سبق يمكن القول بأنّ قوم نبي الله تعالى شعيب عليه السلام قد زاولوا الشروط التي أوجبت إهلاكهم واستبدالهم بغيرهم، حيث التولي، والإعراض، والانصراف عن الاستجابة لدعوة التوحيد، مما جعلهم يستحقون الاستبدال بالعقاب والهلاك الكامل. قال الله تعالى: ﴿لَوَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾^(٨٥). "أي: فأخذتهم الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم هامدين صرعى لا حراك بهم"^{٨٦}.

المطلب الثاني: معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب عليه السلام.

يمكن إيجاز معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب عليه السلام على النحو الآتي:

المعلم الأول: طاعة الله وتقواه ﷻ.

من يتأمل بعمق في كلام نبي الله شعيب عليه السلام يدرك بجلاء أنه يضع الأساس لأهم ركائز التنمية المستدامة، بدعوته إلى أعلى درجات التدين، والتي تتمثل في عبادة الله وحده لا شريك له. وهو القاسم المشترك بين جميع الرسالات السماوية، ذلك أنّ العبادة والنقوى هما جوهر الإصلاح، وأساس التنمية الحقيقية.

يؤكد على ذلك المعنى د. محمد سيد طنطاوي بقوله: "ومن كفر بالله وانتهاك محارمه فقد أفسد في الأرض؛ لأنّ الأرض لا تصلح إلّا بالتوحيد والطاعة"^(٨٧).

(٨٥) سورة هود، الآية، ٩٤.

(٨٦) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٣٢٨/٥.

(٨٧) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٥٨/١.

يقول الله تعالى: **لَوِإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا، قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ، وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ** (٨٨).

يقول الإمام الشنقيطي: "فاقتزن الأمر بالوفاء بالكيل بالأمر بعبادة الله وحده؛ لأنّ في الأمرين إعطاء كل ذي حق حقه من غير ما نقص. وبين أنّ في عدم الإيفاء المطلوب بخس الناس أشياءهم، وفساد في الأرض بعد إصلاحها" (٨٩).
ويؤكد على ذلك الإمام ابن عاشور فيقول: "أمر قومه بثلاثة أمور: أحدها: إصلاح الاعتقاد، وهو من إصلاح العقول والفكر. وثالثها: صلاح الأعمال والتصرفات في العالم بأن لا يفسدوا في الأرض. ووسط بينهما الثاني: وهو شيء من صلاح العمل خص بالنهي؛ لأنّ إقدامهم عليه كان فاشياً فيهم حتى نسوا ما فيه من قبح وفساد" (٩٠).

والمأمل بحق يتأكد لديه أنّ إصلاح الاعتقاد، يأتي من خلال إصلاح العقول والفكر، إذ إنّ صحة الجسد ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصحة المعتقد، فكيف يمكن للجسد أن يكون سليماً إذا كان المعتقد فاسداً؟ فعندما يضعف الإيمان ويختل توازن الاعتقاد، تتداخل الحقائق مع الخرافات، وتنتشر الأوهام، الأمر الذي يؤدي إلى تفشي الدجل والشعوذة.

وهنا يضع الحق بين فريقين: فريق الماديين الذين ينكرون الغيب وعالمه، ويكفرون بما جاء به رسل الله من حقائق. وفريق الخرافات والأوهام. وكلا الفريقين متبع لطريق الجاهلية.

المعلم الثاني: العمل المحكوم بأفعل ولا تفعل (الحوكمة).

(٨٨) سورة هود، الآية، ٨٤.

(٨٩) أضواء البيان، الشنقيطي، ٤٥٦/٨.

(٩٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٩/١١.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

أردف نبي الله شعيب عليه السلام أمره لقومه بعبادة الله تعالى: "بالنهي عن مظلمة كانت متفشية فيهم، وهي خيانة المكيال والميزان... وهي مفسدة عظيمة؛ لأنها تجمع خصلتي السرقة والغدر؛ لأنّ المكيال مسترسل مستسلم. ونهاهم عن الإفساد في الأرض، وعن نقص المكيال والميزان فعزّزه بالأمر بضده وهو إيفاؤهما"^(٩١). ولاشك أنّ خيانة المكيال والميزان، التي تجمع بين صفتي السرقة والغدر، تُعد من أخطر الجرائم التي تعيق عملية التنمية. فإذا تم القضاء على هاتين الجريمتين؛ توفرت الظروف المناسبة لتحقيق التنمية المستدامة.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاوم جريمة الخيانة، في الحديث، عن أبي حميد الساعدي، أنّ النبي صلى الله عليه وسلم استعمل رجلاً من الأزد، يُقال له ابن التُّبَيْيَةِ - قَالَ ابْنُ السَّرْحِ ابْنُ الْأُتْبَيْيَةِ - عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَ فَقَالَ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدَى لِي. فَقَامَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الْمُنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: "مَا بَالُ الْعَامِلِ نَبَعْتُهُ فَيَجِيءُ فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ، وَهَذَا أُهْدَى لِي. أَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أُمِّهِ أَوْ أَبِيهِ فَيَنْظُرُ أَيُّهُدَى لَهُ أَمْ لَا، لَا يَأْتِي أَحَدٌ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا فَلَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقْرَةٌ فَلَهَا خُورٌ أَوْ شَاةٌ تَيَعَّرٌ". ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْنَا عُفْرَةَ إِبْطِيهِ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ"^(٩٢).

يقول الإمام الخطابي: "قلت: في هذا بيان أنّ هدايا العمال سحت، وأنه ليس سبيلها سبيل سائر الهدايا المباحة.. وهو خيانة منه وبخس للحق الواجب عليه استيفاؤه لأهله"^(٩٣).

(٩١) نفس المرجع، ٣٠٩/١١.

(٩٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باب: (حديث أبي حميد الساعدي صلى الله عليه وسلم)، برقم، ٢٣٦٤٦، ٥/

٤٢٣، قال شعيب الأرنؤوط: " إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٩٣) معالم السنن، الخطابي، ٨/٣.

وقد ضرب صحابة النبي ﷺ أروع الأمثلة في مكافحة الفساد، حيث غدت الأمانة عندهم جزءاً لا يتجزأ من إيمانهم ومبادئهم؛ لذلك سادوا الأرض، ونمت الزروع، وكثر الخير في عهدهم.

فعن أبي بكر بن عياش، قال: "جاء بتاج كسرى إلى عمر رضي الله عنه فقال: إن قوماً أدوا هذا لأمناء، فقال علي رضي الله عنه: إن قوم رأوك عفت فغفوا، ولو رعت لرتعوا"^(٩٤).

والحديث يشير هنا إلى ديمومة نظر الناس إلى القدوة المتمثلة في الحاكم أو في غيره، فإذا كان الحاكم حافظاً حمل الناس على الحفظ، وإذا كان على العكس من ذلك حملهم على الفساد في الأرض.

وعليه، فإن غياب منهج الله تعالى يعني أن يصبح كل فرد عبداً لرغباته وأهوائه. وعندما تسير الأمور وفق أهواء الناس، فإن حركة الحياة تجلب لهم الشقاء والشر بدلاً من السعادة والأمان. وما نشهده اليوم من شكاوى الناس لهو دليل على الفساد، حيث تعاني جماهير غفيرة دون أن يتحرك أحد لمعالجة أسباب هذه الشكاوى. وبالتالي، لن يتحقق الاستقرار الذي هو سبيل لتحقيق التنمية، كما لن يتم التخلص من الفساد، إلا إذا اتبعنا منهجاً لا يتأثر بالأهواء، وهو منهج خالق البشر، الذي يقضي فيه الله تعالى بأفعل ولا تفعل.

المعلم الثالث: إعمار الأرض.

الإنسان الذي خلقه الله ﷻ وجعله خليفة له في الأرض مُطالب بعمارته وتحسينها، تحقيقاً لقوله تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}^(٩٥). " أي: ابتداء خلقكم منها خلق منها أباكم آدم {وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا} أي جعلكم عماراً تعمرونها وتستغلونها"^(٩٦).

(٩٤) محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين، ابن المبرد الحنبلي، ٢ / ٦٢٥.

(٩٥) سورة هود، الآية، ٦١.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

ولا يمكن أن نُعمر الأرض وهي في حالة خراب. لذلك، يحرص منهج الإسلام على دفع الإنسان بشكل مستمر وجاد نحو تحقيق عمارة الأرض التي وُكِّل إليها، واستغلال ما سخره الله له من موارد لينتفع بها لنفسه، وليكون سبباً في نفع غيره، من خلال تلبية احتياجاته، وإشباع رغباته.

يقول الرسول الكريم ﷺ داعياً أمته إلى إعمار الأرض حتى ولو في لحظة قيام الساعة، في الحديث عن هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ" ٩٧.

يقول المناوي في توضيح مغزى الحديث: " الحاصل أنه مبالغة في الحث على غرس الأشجار، وحفر الأنهار؛ لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدّها المحدود، المعدود، المعلوم عند خالقها، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك؛ لينتفع، وإن لم يبق من الدنيا إلا صباية. وذلك بهذا القصد لا ينافي الزهد والتقلل من الدنيا"^(٩٨).

وقد استخدم الإمام علي كرم الله وجهه مصطلح "العمارة"؛ للإشارة إلى مفهوم التنمية في رسالته إلى واليه في مصر، مالك بن الحارث الأشتر رضي الله عنه، والتي جاء فيها: " ليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، يعني هذا الخراج الذي تريد الحصول عليه، لن تحصل عليه إلا بعمارة الأرض، وبالاهتمام بهذه الأرض؛ لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج من غير عمارة أخرج البلاد"^(٩٩).

الواضح من كلام الإمام علي أنه يشدد على أن تكون همة الإنسان - والياً كان أو غير وال - منصرفة إلى النفع العام(المصلحة العامة)، وهو إعمار الأرض، بزراعتها، وجعلها خضراء توتّي أكلها كل حين، وبهذا الإعمار العام يأتي الخراج، أما من شغل نفسه بالخراج عن الإعمار فهو يريد بذلك خراب البلاد، وفساد العباد.

(٩٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٣١/٤.

(٩٧) أخرجه أحمد في مسنده، باب: مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، برقم، ١٣٠٠٤، ١٩١١/٣. تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٩٨) فيض القدير شرح الجامع الصغر، المناوي، ٣٠/٣.

(٩٩) السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، ص ١٢٥.

يقول الإمام ابن عاشور: "والاستعمار: الإعمار، أي جعلكم عامرينها.. وَمَعْنَى الْإِعْمَارِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا الْبَارِضَ عَامِرَةً بِالْبِنَاءِ، وَالْغَرْسِ، وَالزَّرْعِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ تَعْمِيرًا لِلْأَرْضِ، حَتَّى سُمِّيَ الْحَرْثُ عِمَارَةً؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهُ عَمْرُ الْأَرْضِ"^(١٠٠).
ويقول الإمام الشعراوي: "وإستعماركم فيها" أي: طلب منكم أن تعمروها، فكل حركة في الحياة تؤدي إلى عمار الأرض فهي من العبادة، فلا تأخذ العبادة على أنها صوم وصلاة فقط؛ لأن الصوم والصلاة وغيرهما هي الأركان التي ستقوم عليها حركة الحياة التي سيبنى عليها الإسلام، فلو جعلت الإسلام هو هذه الأركان فقط جعلت الإسلام أساساً بدون مبنى، فهذه هي الأركان التي يُبنى عليها الإسلام، فإذن الإسلام هو كل ما يناسب خلافة الإنسان في الأرض يبين ذلك ويؤكد قول الله تعالى: {هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا}"^(١٠١).

وعليه، فإنه يمكن القول بأن المعنى الحقيقي للعبادة يتضمن عمارة الأرض. قال الله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ"^(١٠٢). وهذا يشير إلى أنه دعاهم من البيع إلى الصلاة، ولم يكن ذلك من فراغ، بل من انشغالهم بحركة البيع. وهذا إن دل فإنما يدل على أهمية التنمية.

مما سبق يمكن القول بأن معالم التنمية المستدامة في قصة نبي الله شعيب عليه السلام جاءت على النحو التالي: المعلم الأول: طاعة الله وتقواه ﷻ.
المعلم الثاني: العمل المحكوم بأفعل ولا تفعل (الحوكمة).
المعلم الثالث: إعمار الأرض.

(١٠٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٨٨/١١.

(١٠١) تفسير الشعراوي، الشعراوي، ١٠٨٩/٢.

(١٠٢) سورة الجمعة، الآية، ٩.

المبحث الثالث

معالم التنمية المستدامة في قصة ذي القرنين عليه السلام

المطلب الأول: التعريف بقصة ذي القرنين عليه السلام.

عند التأمل العميق في قصة ذي القرنين عليه السلام، يمكن ملاحظة مدى التأثير الواضح الذي أحدثه ذلك الملك العادل في بناء أمة قوية متماسكة. ولعل ذلك يرجع إلى كونه كان يدعو بوضوح إلى التنمية الشاملة والمستدامة. هذه الدعوة التي يفتقدها عالم اليوم. لذلك، كان الغوص في أعماق تلك القصة كاشفاً عن أبرز معالم التنمية المستدامة الواردة فيها.

والناظر إلى ذكر ذي القرنين عليه السلام في القرآن، يجد أن ذكره لم يتجاوز الإشارة إليه بلقبه المشتهر به، دون تعيين اسمه أو تحديد بلاده وقومه. ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه التفاصيل تُعد من شئون التاريخ، والقصص، ولا تدخل ضمن الأغراض الأساسية للقرآن. فقد اقتصر النص على ما ينفع الأمة من دروس حكيمة. لذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^(١٠٣).

وذو القرنين عليه السلام يعد شخصية تاريخية عاشت في زمن ومكان محددين، انتهت حياته بأجل معلوم. وصّفه القرآن الكريم بأنه عبد صالح، وملك عادل. وقد خلد ذكره من خلال الإشارة إلى ثلاث رحلات بارزة قام بها: إلى الغرب، والشرق، والوسط. ما يميز هذه الرحلات جميعاً هو توحيدها حول هدف نبيل، وسلوك كريم، يتمثل في التصدي للشر، ودعم الخير. ومن أبرز أعماله الخيرة التي وردت في القرآن أنه أقام سداً قوياً؛ لمنع الأذى الناتج عن يأجوج ومأجوج. يُقال عنه أيضاً أنه

(١٠٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٨/١٦.

كان مدعوماً ومنصوراً، وكان الخضر يتولى منصب وزيره، وقائد جيشه، مما جعله شريكاً وشخصية موثوقة في اتخاذ القرارات المصيرية^(١٠٤).

المطلب الثاني: معالم التنمية المستدامة في قصة ذي القرنين عليه السلام.

يمكن إيجاز معالم التنمية المستدامة في قصة الملك الصالح ذي القرنين عليه السلام

على النحو الآتي:

المعلم الأول: وجود القائد الصالح الممكن.

هذا المعلم يعد من الركائز الأساسية في عملية التنمية، حيث يعتمد على

ثلاثة عناصر رئيسية.

- القائد الذي يسعى لاستدامة العملية التنموية.
- أن يكون القائد صالحاً.
- أن يكون القائد الصالح ممكناً.

لذلك، كانت عملية التنمية تفتقر بشدة إلى وجود قادة صالحين. فالقيادة تمثل

الأداة الأساسية لتحقيق أهداف التنمية الشاملة والمستدامة، كما تعدّ محوراً جوهرياً

تلتقي عنده كافة العناصر الرئيسية للبرامج الطموحة والفعّالة.

ومن المهم أيضاً أن يقال: إنّ أيّ عملية تنمية تفتقر إلى وضع الإنسان

الذي يجب أن يكون مركزاً للأولويات والصدارة بالنسبة لأيّ شيء آخر، وإنّ أيّ

تنمية تغرد خارج هذا الإطار فإنّها تعدّ عديمة الجدوى. إذ إنّ التنمية الحقيقية هي

تنمية الإنسان الذي خلقه الله وكرمه، ولأجل الإنسان أيضاً.

ولما كان ذلك كذلك، كان ذو القرنين عليه السلام باعتباره ملكاً صالحاً ممكناً أحد

الركائز المهمة في التنمية التي حدثت لقومه في عهده، يقول الله تعالى: **{إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ**

(١٠٤) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، ٣٤٠/١٣، ٣٤١، ٣٥٠.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

فِي الْأَرْضِ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا{١٠٥}. والآية الكريمة تبين كيف أن الله تعالى قد مكن لهذا الملك الصالح، فاستطاع بتمكنه هذا أن يقود قومه إلى التنمية الشاملة.

يقول الإمام السمرقندي: "إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ، أَي مَلَكْنَاهُ وَأَعْطَيْنَاهُ وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، أَي عِلْمًا. ويقال: أعطيناه علم الوصول إلى كل شيء يحتاج إليه من الحروف وغيرها" ١٠٦.

ويؤكد الإمام البغوي على معنى التمكين بأن المراد منه: "تمهيد الأسباب. قال علي: سخر له السحاب فحملة عليها، ومد له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض، وهو أنه سهل عليه السير فيها، وذلك له طرقها" ١٠٧.

ويزيد الإمام بن عاشور معنى التمكين وضوحاً، فيقول: "فمعنى التمكين في الأرض إعطاء المقدر على التصرف. والمراد بالأرض أهل الأرض، والمراد بالأرض أرض معينة وهي أرض مُلْكِهِ" ١٠٨.

وعليه، فالآية تظهر أهمية وجود قائد صالح يتمتع بتمكين حقيقي على الأرض، إذ لا يمكن تحقيق التنمية الشاملة والمستدامة دون الاعتماد على هذا المرتكز الجوهري. وبالنظر إلى أهمية هذا المعلم، يمكن القول بأن القيادة تُعد عنصراً جوهرياً في أي منظمة أو مؤسسة أو فريق عمل، حيث يصعب الوصول إلى النجاح دون وجود قائد يمتلك المهارات اللازمة؛ لتوجيه وتحفيز الأفراد نحو

(١٠٥) سورة الكهف، الآيتان، ٨٤.

(١٠٦) بحر العلوم، السمرقندي، ٣٦٠/٢.

(١٠٧) معالم التنزيل، البغوي، ١٩٨/٥.

(١٠٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٥ / ١٢٦.

تحقيق الأهداف المشتركة، وللتعامل مع أي انحراف من شأنه أن يعرقل العملية القائمة.

وتتجلى أهمية القيادة في الدور الحاسم الذي يؤديه القائد من خلال وضع رؤية واضحة وتحويلها إلى استراتيجيات عملية تُسهم في تحسين أداء الفريق بشكل عام. ولا تقتصر أهمية القيادة عند هذا الحد فحسب، بل تمتد إلى خلق بيئة عمل إيجابية تعزز الابتكار، وتساعد في حل النزاعات، وتوفر الحوافز والمكافآت التي تشجع القائمين على العمل للأداء بفعالية وكفاءة عالية.

المعلم الثاني: العلم والعمل.

جاء الدين الإسلام بمنهج علمي أصيل يتسم بالوضوح والدقة. وقد بدأ هذا المنهج بكلمة جامعة في أولى آيات كتابه المعجز، وهي قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

وانطلاقاً من هذا المنهج، نجد أن علماء الأمة وسلفنا الصالح، قد كشفوا لنا عن أصالة وأهمية العلم، وعلى رأس هؤلاء الإمام البخاري رحمه الله فقد وضع في صحيحه باباً بعنوان: " العلم قبل القول والعمل". وأوضح أن العلم شرط أساسي لصحة القول والعمل، حيث لا يقبلان إلا بوجوده؛ فهو الأساس الذي يصحح النية، والتي بدورها تصحح العمل ١٠٩.

وهذا الفهم يتضح أكثر عند الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، حيث قدم العلم على الشهادة. ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، مما يبين أن العلم في الإسلام ليس مقصوداً لذاته فقط أو منفصلاً عن العمل، بل هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً، فالعلم والعمل متلازمان لا يمكن فصلهما.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

وقد عبّر الإمام ابن قيم الجوزية عن هذا المعنى بقوله: " العلم إمام العمل، وقائد له، والعمل تابع له ومؤتم به، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به فهو غير نافع لصاحبه، بل مضرة عليه " ١١٠.

ولما كان ذلك كذلك، فإنّ الله تعالى قد وهب الملك الصالح ذا القرنين عليه السلام العلم والعمل، في دلالة منه سبحانه على أنّ التنمية الشاملة لا بد أن تعتمد عليهما، قال الله تعالى: {وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتَّبَعَ سَبَبًا} ١١١.

" أي: أعطيناه من كل شيء يحتاج إليه الخلق. وقيل: من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء. {سَبَبًا} أي: علماً يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الأرض، والسبب: ما يوصل الشيء إلى الشيء " ١١٢.

أو " سبباً وطريقاً يوصله إلى مقصوده، كآلات السير، وكثرة الجند، ووسائل البناء والعمران " ١١٣.

وقد " عمل بتلك الأسباب التي أعطاه الله إياها، أي: استعملها على وجهها، فليس كل من عنده شيء من الأسباب يسلكه، ولا كل أحد يكون قادراً على السبب، فإذا اجتمعت القدرة على السبب الحقيقي والعمل به، حصل المقصود، وإنّ عدما أو أحدهما لم يحصل " ١١٤.

مما سبق يمكن القول بأنّ من أهم الدعائم الرئيسة بالنسبة للتنمية المستدامة بعد وجود الملك الصالح هو العلم والعمل، فبدونهما لن تقوم قائمة لعملية التنمية الشاملة.

المعلم الثالث: تطبيق مبدأ الثواب والعقاب.

ذكر البحث أنّ تطبيق مبدأ الثواب والعقاب يمثل أحد أبرز أساليب التحفيز على العمل، فهو يهدف إلى تشجيع الأفراد على زيادة جهدهم أو تعديل

(١١٠) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، ٨٢/١.

(١١١) سورة الكهف، الآيتان، ٨٤، ٨٥.

(١١٢) معالم التنزيل، البغوي، ١٩٨/٥، ١٩٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٩٠/٥.

(١١٣) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي، ٥٧٠/٨.

(١١٤) تيسر الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٨٥.

سلوكياتهم غير المرغوبة. وهو المبدأ الذي سار عليه ذو القرنين عليه السلام في عملية التنمية، حيث أمره الله تعالى " أَنْ يَعْزِبَ قَوْمَهُ " بقتل، أو ضرب، أو أسر، ونحوه، وإما أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهِمْ، فخير بين الأمرين؛ لأن الظاهر أنهم كفار أو فساق، أو فيهم شيء من ذلك، لأنهم لو كانوا مؤمنين غير فساق، لم يرخص في تعذيبهم، فكان عند ذي القرنين عليه السلام من السياسة الشرعية ما استحق به المدح والثناء، لتوفيق الله تعالى له. لذلك، قال: سأجعلهم قسمين: {أَمَّا مَنْ ظَلَمَ} ١١٥. بالكفر {فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا} ١١٦. أي: تحصل له العقوبتان، عقوبة الدنيا، وعقوبة الآخرة، {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ} ١١٧. أي: فله الجنة، والحالة الحسنة عند الله جزاء يوم القيامة، {وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} ١١٨. أي: وسنحسن إليه، ونلطف له بالقول، ونيسر له المعاملة. وهذا يدل على كونه من الملوك الصالحين الأولياء، العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله" ١١٩.

مما سبق يمكن القول بأن معالم التنمية المستدامة في قصة ذي القرنين عليه السلام جاءت على النحو التالي:

١. وجود القائد الصالح الممكن.
٢. العلم والعمل.
٣. تطبيق مبدأ الثواب والعقاب.

(١١٥) سورة الكهف، جزء من الآية، ٨٧.

(١١٦) سورة الكهف، جزء من الآية، ٨٧.

(١١٧) سورة الكهف، جزء من الآية، ٨٨.

(١١٨) سورة الكهف، جزء من الآية، ٨٨.

(١١٩) تيسر الكريم الرحمن، السعدي، ص ٤٨٥.

المبحث الرابع

خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني والتشريعات الوضعية

المطلب الأول: خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني.

يبين الله ﷻ السبب الرئيس لنزول القرآن بقوله: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (١٢٠). والمعنى: أن هذا الكتاب نزل ليكون سبباً في هداية الناس، وإخراجهم من ظلام الجهل، والضلال، إلى نور الإيمان والرشاد. وهذه الغاية لا تتحقق إلا إذا كان الكتاب في ذاته حجة قائمة على الحقيقة والمصادقية، ولا يكون كذلك إلا بكونه معجزة إلهية. بهذا يجمع هذا الكتاب بين عدة خصائص ينبغي فهمها وإدراكها: هذه الخصائص تعكس مصدره الرباني، والتي تسعى لتحقيق النفع والهداية للبشرية جمعاء. من ذلك يمكن القول بأن كل ما جاء في الكتاب العزيز يتصف بالربانية، بصفة عامة، وما جاء في الحديث عن التنمية بصفة خاصة. وفيما يأتي ذكر لبعض خصائص التنمية في القرآن، وذلك على النحو الآتي:

الخاصية الأولى: الربانية.

الربانية^(١٢١) في نظام التنمية المستدامة في القصص القرآني تمثل أصلاً جوهرياً ينبع من حقيقة أن مرسل هذا النظام هو الخالق ذاته. والخالق بما له من صفات جلال وكمال يجعل كل ما يرد عنه من حديث في التنمية وغيرها له قدسية.

(١٢٠) سورة إبراهيم، الآية، ١.

(١٢١) الربانية: هو اسم مؤنث يُنسب إلى "رَبِّ"، ويُعد مصدراً صناعياً مشتقاً من كلمة "رب"، وهو يعبر عن حسن العبادة لله. وقد اختلف علماء اللغة في معاني كلمة "الربانية" بناءً على نوع الاشتقاق الذي تعود إليه: "فالرَّبِّيُّ"، وهو ما يُنسب إلى "الرَّبِّ". ومنه "الرباني"، الذي يُوصف بأنه عالم بالرب، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ١/ ٤٠٣، ٤٠٤، معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، ٨٤٢/٢.

واستحضار هذا الأصل البارز عند العمل بالتنمية تمنح الإنسان الثقة والعصمة التي تحميه من الوقوع في الذلل أو الخطأ. فالربانية تعني بهذا المعنى "الذي يربب الناس، فيصلح أمورهم ويقوم عليها"^(١٢٢). وهي بذلك ترتبط بالله تعالى ارتباطاً كاملاً. لذلك، فكل ما يرد عن نظام التنمية في القرآن يتسم بأعلى درجات الدقة، والإحكام، ويخلو تماماً من أي انحرافٍ أو زيغ.

الخاصية الثانية: الإنسانية.

تعد الإنسانية العنصر الثاني من سمات التنمية المستدامة في القصص القرآني، باعتبار أن رسالة الإسلام جاءت موجهة للبشرية. فالإنسان هو المحور الأساسي لهذه الرسالة، وهدفها الأول هو الحفاظ عليه وصونه. يتجلى هذا المعنى في تكريم الله ﷻ للإنسان، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١٢٣). ومن مظاهر هذا التكريم، خلق الإنسان في أحسن صورة وأكمل هيئة؛ إذ جعله يمشي منتصب القامة على قدميه، ويأكل بيديه، على خلاف بقية الكائنات التي تمشي على أربع، وتأكل بفمها^(١٢٤). بالإضافة إلى ذلك، يظهر تكريم الإنسان في تسخير الكون بما فيه من أنظمة وموارد لخدمته، وذلك بهدف تحقيق سعادته في الدنيا، ونيله الخلود في نعيم الآخرة.

الخاصية الثالثة: الشمولية.

الشمولية من أبرز خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني، حيث تتميز بعدم وجود أي زيادة أو نقصان فيها. ولهذا فإن القرآن يمثل منهجاً شاملاً ومتكاملاً ينظم حياة الإنسان فرداً وجماعة. يُقصد بالشمولية مجموعة من القواعد

(١٢٢) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٣٣٧.

(١٢٣) إبراهيم، الآية، (١).

(١٢٤) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٣/ ١٧٥.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

والقوانين والنظم والأحكام الإلهية التي تهدف إلى تنظيم حياة البشر في شتى نواحيها، في كل الأزمان والأماكن. وقد جاءت الشريعة لتحقيق مصلحة الدين والدنيا معاً، حتى تستقيم حياة الناس، وفق نظام إلهي متكامل^(١٢٥).

يقول الله ﷻ: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَّنَاهُ تَفْصِيلاً﴾^(١٢٦)، أي إن كل ما يحتاجه الإنسان في أمور دينه ودنياه قد تم بيانه وتوضيحه في القرآن بشكل جلي لا يحتمل الغموض. هذا التبيان الشامل يجعل من القرآن مرجعاً أساسياً وتنظيمياً لحياة الإنسان في مختلف مجالاتها^(١٢٧).

الخاصية الرابعة: الترتيب.

الترتيبُ في الأصل " جعل كل شيء في مرتبته"^(١٢٨)، و"ترتب" تأتي أيضاً بمعنى الثبوت والاستمرارية. ومن الاستخدامات المأثورة: "لا يزال هذا الشيء على بني فلان تُرتباً"، أي دائماً، وغير زائل^(١٢٩).

ويقال أيضاً: "جاء الناس تُرتباً"، بمعنى جميعاً أو مجتمعين^(١٣٠).

لذلك، فإن من يتأمل الآيات التي ذكرت معالم التنمية في القصص القرآني يلاحظ ثباتها الراسخ في مبناها، ومعناها، بأعلى درجات الأحكام، كما يجدها غاية في الوضوح والجلال، مرتبة وفق نظام متكامل يبرز تناسقاً بالغاً، وانسجاماً فريداً. تجمع هذه الآيات بين مختلف عناصر موضوعها الواحد بطريقة شاملة، مما يعكس بجلال الإعجاز البديع في أسلوبها، وصياغتها، وترتيبها.

(١٢٥) انظر: شمولية الإسلام، عبد العزيز مرزوق الطريفي، ص ٥.

(١٢٦) الإسراء، الآية، (١٢).

(١٢٧) الأنوار الساطعات، عبد العزيز السلطان، ١ / ٦.

(١٢٨) انظر: التعريفات، الجرجاني، باب (التاء)، ص ٧٨.

(١٢٩) انظر: المخصص، ابن سيده، ٣ / ٣٢٥. مادة (رتب).

(١٣٠) انظر: المحيط في اللغة، صاحب بن عباد، ٢ / ٣٧٣. مادة (رتب).

مما سبق يمكن القول بأنّ معالم التنمية المستدامة في القصص القرآني تتميز بطابع الثبات والترتيب الذي يمنع أي تغيير فيها عن مواضعها الأصلية. وهذا يعود إلى أنها موقوفة ومحفوظة، كما أنزلت على النبي ﷺ^(١٣١)، إضافةً إلى كونها تراعي جميع الضرورات، والتناسبات المنطقية الدقيقة.

الخاصية الخامسة: الواقعية.

المقصود بواقعية نظام التنمية في القصص القرآني هو قدرته على التطبيق الفعلي في الحياة اليومية، حيث يتميز هذا النظام بالترابط بين الأسباب ونتائجها، والوسائل وأهدافها، في مختلف جوانب الحياة. هذا الترابط هو ما أضفى على التنمية في القصص القرآني هذه السمة البارزة، إذ لم يكف الإنسان بما لا يمكنه تحقيقه، بل طُلب منه فقط ما يقع ضمن حدود إمكانياته. وبالتالي، تعني واقعية النظام التنموي في القرآن قابليته للتنفيذ على أرض الواقع.

ومن هذا المنطلق، ينبغي أن يكون التدبر في كتاب الله تعالى مرتبطاً بمبدأ ترسيخ هذا المفهوم، وإلا فقد يفقد أثره الواضح. إذ إنّ واقعية نظام التنمية في القصص القرآني تستمد أصولها من المحاور الثلاثة التي يقوم عليها النظام الإنساني: العقيدة، التشريع، والأخلاق^(١٣٢).

المطلب الثاني: خصائص التنمية المستدامة في التشريعات الوضعية.

تم طرح التنمية المستدامة في التشريعات الوضعية كنمط حياة، وأسلوب للعيش، يعتمد على نهج شمولي ومتكامل بالنسبة لفكر الإنسان، الذي يتميز بالنقص والخطأ. كما جاءت هذه العملية في التشريعات أيضاً لترتبط بين مجموعة متنوعة من العلاقات والتفاعلات. يشمل ذلك الجوانب الاجتماعية، والاقتصادية،

(١٣١) انظر: أسرار ترتيب سور القرآن، السيوطي، ص ٦٨.
(١٣٢) انظر: واقعية المنهج القرآني، توفيق محمد سبع، ص ٥٣.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

والتكنولوجية، والبيئة الطبيعية، بهدف تحقيق مشاركة طوعية، تكون فيها المسؤولية من جميع أفراد المجتمع، بعيداً عن أي إكراه. ويتطلب هذا النهج وضع أطر أخلاقية محددة، تعمل على تعزيز وتعديل سلوك الإنسان، الذي يُعدّ السبب الرئيس للمشكلات البيئية. ويأتي ذلك ضمن فهم أعمق للعلاقات والقوانين المنظمة للبيئة؛ لتحقيق انسجام أكبر معها^(١٣٣).

كما ترتبط عملية التنمية، مثل غيرها من المفاهيم، بإطار متكامل يحمل دلالات متعددة ذات أبعاد مؤسسية وواقعية. وهي تتميز بطابعها الشمولي الذي يجمع بين أوجه متنوعة ومختلفة تسهم جميعها في تحقيق عملية التنمية. وعليه، فإنّ خصائص التنمية المستدامة في التشريعات الوضعية جاءت على النحو التالي:

الخاصية الأولى: النظر إلى التنمية باعتبارها عملية تغيير شاملة تستهدف جميع القضايا.

الخاصية الثانية: لا تقتصر التنمية على حدوث تغييرات اقتصادية فقط، بل تتطلب أيضاً تحولات اجتماعية، وثقافية، وسياسية مهمة.

الخاصية الثالثة: التنمية ليست عملية تغيير ديناميكية موجهة، وإنما تستدعي مشاركة واسعة من أفراد المجتمع لتحقيق أهدافها.

الخاصية الرابعة: من المهم أن تنظر التنمية بعين الاعتبار إلى احتياجات المستقبل، وهو ما أدى إلى ظهور توجهات جديدة تهدف لتحقيق هذه الغاية.

من خلال ذكر كل من خصائص التنمية المستدامة في القصص القرآني، وكذا التنمية في التشريعات الوضعية يمكن استنباط الآتي:

(١٣٣) انظر: التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة، ص ٩، ١٠.

١. لكل من التنمية المستدامة في القصص القرآني، وكذا التنمية في التشريعات الوضعية نهج شمولي ومكامل.
٢. تختلف التنمية المستدامة في القصص القرآني عن التنمية في التشريعات الوضعية، كون الأولى ترتبط بالله ﷻ ارتباطاً كاملاً؛ لذلك فهي تتسم بأعلى درجات الدقة المطلقة والمتناهية؛ لأنها واردة من حكيم خبير، فهي تخلو تماماً من أي انحراف أو زيغ أو تدليس أو تحريف أو تبديل. أما الثانية فهي من وحي البشر، الذي يتسم بالنقص والخطأ. لذلك، فإنها لا تتميز بالدقة، كونها واردة عن يتصف بالنقص والنسيان، الأمر الذي قد يعرضها للزيغ، والتدليس، والتحريف، والتبديل.
٣. تهتم التنمية المستدامة في القصص القرآني بالإنسان والبيئة على قدم سواء، أما التنمية في التشريعات الوضعية فإنها تهتم بالبيئة من أجل الإنسان، وهناك فارق كبير بين أن يتم الاهتمام بالإنسان الذي هو أساس التنمية، ويهتم أيضاً بالبيئة التي يعيش فيها، وبين أن يهتم بالبيئة من أجل الإنسان.

الخاتمة:

أولاً: أهم النتائج:

من خلال البحث في موضوع معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني تجلت للباحث بعض النتائج من أهمها:

١. على الرغم من حداثة مصطلح التنمية المستدامة، إلا أن المبادئ التي تقوم عليها تعد راسخة جذورها في دعوة الأنبياء والرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وعلى ذلك، فإن بداياتها تعود إلى بداية نزول الوحي على قلب النبي ﷺ.

٢. أظهر البحث أن عملية التنمية المستدامة هي في الأصل وظيفة الإنسان على الأرض، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}. ليسكنونها، ويعمرونها. وعليه، فإن إعمار الأرض لن يتأتى من غير تنمية حقيقية. وعليه، فإن وظيفة بني الإنسان في الكون بعد أفراد الله ﷺ بالعبادة هي التنمية.

٣. أكد البحث أن القصص القرآني المجيد، قد حوى بين أطوائه الكثير من معالم التنمية المستدامة، من أهمها تقوى الله تعالى، والعمل على مرضاته ﷻ.

٤. التأكيد على أهمية العلم والعمل في الحفاظ على التنمية، وحمايتها، وصيانتها، بالإضافة إلى السعي لتحقيق توازنها؛ وضمان استمرارها، وتجنب توقعها.

٥. كشف البحث أن القصص القرآني المجيد قد دل على أن استعمال مبدأ الثواب والعقاب مبدأ مهم لمن يريد القيام بعملية تنمية حقيقية.

٦. أكد البحث أنه لا توجد تنمية حقيقية من غير أن يكون الإنسان هو العامل الأساسي فيها. لذلك؛ فإنه قبل التفكير في القيام بتنمية المواد البيئية، يجب التفكير في كيفية تنمية الإنسان؛ لأنه من سيقوم بها، فإن لم يتم تنمية مهارته وقدراته مع إرادة استمرارها، لما تحققت هذه العملية على الاطلاق.

٧. إن الوصول إلى أبعاد التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها يتطلب إجراء تغييرات جوهرية على الصعيدين الإنساني والبيئي. ولا يكفي أن تكون هذه التغييرات مقتصرة على دور الحكومات فقط، بل يجب أن تُعزَّز من خلال تفعيل دور المجتمع المدني بمختلف أطيافه، بما في ذلك الجمعيات الأهلية والمنظمات الحقوقية. ويتم ذلك ضمن إطار منظم يقوم على مبادئ التعاون والتشاور لتحقيق الأهداف المشتركة.

ثانياً: التوصيات:

هذا، وقد ظهر للباحث من خلال البحث في التنمية المستدامة في القصص القرآني المجيد، وجود بعض الموضوعات يُمكن أفرادها بالدراسة والبحث، منها:

- معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية المطهرة.
- أسس التنمية المستدامة بين القرآن والسنة النبوية والتشريعات الوضعية " دراسة مقارنة".

المصادر والمراجع:

- أبعاد وأهداف التنمية المستدامة من منظور الشريعة الإسلامية، زيزي مصطفى أحمد مصطفى، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمهور، العدد السابع، الإصدار الأول، الجزء الثاني، ٢٠٢٢م.
- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- الأدب المقارن، أحمد زيدون وأصحابه، سورابايا، جامعة سونن، أمبيل الإسلامية الحكومية، ٢٠١٣م.
- أسرار ترتيب سور القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ت(٩١١هـ-)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- بحر العلوم، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، أبو الليث ت(٣٧٥هـ-)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.
- البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث، الفقي: محمد عبد القادر الفقي، مكتبة ابن سينا، ١٩٩٣م.
- البيئة والتربية البيئية، د. سعاد جعفر عمر، ود. فيحاء نايف المومني، مكتبة الرشد، السعودية، ط١، ١٤٣٤هـ.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، ت(١٣٩٣هـ-)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

- التربية البيئية ودورها في التنمية المستدامة، دراسة ميدانية بمؤسسات التعليم المتوسط بمدينة بسكرة، فتحة طويل، قسم العلوم الاجتماعية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة محمد خيضر - بسكرة - الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٢م، ٢٠١٣م.
- التعريفات، على بن محمد الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، أخبار اليوم، قطاع الثقافة، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧م .
- التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، الكلمة الافتتاحية للرسالة الربانية، هشام بن فهمي بن موسى العارف، ١٤٢٤هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق: ماهر ياسين فحل، د.ت.

د/حماده ربيع عبدالحكيم عبد الرحيم

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.
- حماية البيئة، دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون الكويتي، المسيكان، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، ٢٠١٢م.
- الرعاية الرقابية والعقابية للبيئة الطبيعية في الإسلام، الكيلاني، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد (١٣)، عدد (٢)، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.
- السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، د. ت.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، إحياء التراث العربي، ودار الفكر، بيروت، د. ت.
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم، د. موسى شاهين لاشين، دار الشروق، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
- فيض التقدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، تعليق: يسيرة لماجده الحموي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.
- القصص القرآني في منظومه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، بيروت، لبنان، (د. ت).
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبو محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، يوسف بن حسن بن أحمد، ابن المبرد الحنبلي (ت: ٩٠٩هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- المدخل إلى العلوم البيئية، سامح غرابية، يحيى فرحان، دار الشروق، عمان، سنة ١٩٨٧م.
- المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن نبي (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

د/حماده ربيع عبدالحكيم عبد الرحيم

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة، د.ت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- معالم التنزيل، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- معالم السنن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ)، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م.
- الْمُعْجَمُ الصَّغِيرُ لِلطَّبْرَانِيِّ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- معجم اللغة العربية المعاصر، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون: إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، طبعة دار الدعوة، د.ت.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- مفاتيح الغيب، الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين فخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

معالم التنمية المستدامة في ضوء القصص القرآني

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، تحقيق: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- واقعية المنهج القرآني، توفيق محمد سبع، دار المختار للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.